منطقة جازان كما سمعت عنها ورأيتها

(٢٦/ ٤ ـ ٧/ ٥/ ١٤٣٣هـ

الموافق ١٩ ـ ٣٠/ ٣/ ٢٠١٢م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي، لمحمد بن مُعبِّر ، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠ / ٢٠١٨م)، (الجزء الأول)، ص ص ٦٢٧– ٦٩٦ . ونشرت أيضاً في كتاب : منطقة جازان: دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام ـ ق ١٥هـ/ ق ١ ـ ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢ هـ/ ٢٠٢١م)، (الجزء الأول)، ص ص ١٤٥ – ٢٠٧.

٤

الدراسة الرابعة

منطقة جازان كما سمعت عنها ورأيتها

(٤/٢٦ - ١٤٣٣/٥/٧هـ

الموافق ١٩ - ٢٠١٢/٣/٣٠م)

بقلم : أ.د . غيثان بن علي بن جريس

الدراسة الرابعة

منطقة جازان كما سمعت عنها ورأيتها
(٤/٢٦ - ٥/٧/١٤٣٣هـ الموافق ١٩ - ٣٠/٣/٢٠١٢م)

بقلم: أ.د . غيثان بن علي بن جريس

م	الموضوع	الصفحة
١	**أولا : مدخل**	**١٤٧**
٢	**ثانياً : التركيبة الجغرافية والبشرية**	**١٤٩**
٣	**ثالثا: حياة الناس الاجتماعية العامة**	**١٥٥**
	١- الأسرة والمجتمع	١٥٥
	٢- العمارة والبناء	١٥٨
	٣- الطعام والشراب	١٦٧
	٤- اللباس والزينة	١٦٩
	٥- عادات وأعراف وتقاليد أخرى	١٧٢
٤	**رابعاً : حياة الناس الاقتصادية**	**١٧٥**
	١- الصيد والجمع والالتقاط	١٧٥
	٢- الرعي	١٧٧
	٣- الزراعة	١٧٩
	٤- الحرف والصناعات	١٨٣
	٥- التجارة	١٨٤
٥	**خامساً : حياة الناس التعليمية والثقافية والفكرية**	**١٩٦**
	١- التربية والتعليم	١٩٦
	٢- الثقافة والفكر	٢٠٢
	٣- جوانب أخرى	٢٠٣
٦	**سادساً : نتائج، واقتراحات، وتوصيات**	**٢٠٤**

أولاً : مدخل[١] :

منطقة جازان بكر في مجال البحوث والدراسات، وإذا كنا أشرنا إليها في بعض بحوث سابقة في هذا الكتاب أو في غيره من الدراسات والأسفار التي سبق طبعها ونشرها فذلك لا يغني عن تسليط الضوء على جوانب تاريخية وحضارية أخرى جديدة. وهذا القسم يقوم على المشاهدة والتجوال في ربوع بلاد جازان، كما يعتمد على أقوال وشروحات بعض الجازانيين أنفسهم [٢] .

ولإنجاز هذه المهمة قمنا برحلة ميدانية في أنحاء بلاد جازان خلال أحد عشر يوماً تنقلنا فيها بين المدن والقرى والأرياف الجازانية، وكانت في الفترة الممتدة من يوم الإثنين (٤/٢٦/ إلى يوم الخميس ١٤٣٣/٥/٧هـ الموافق ١٩-٣/٣٠/ ٢٠١٢م)

والبداية من مدينة أبها عبر عقبة ضلع، وعند جسر رجال ألمع اتجهنا إلى الجنوب الشرقي الذاهب إلى بلدة الفطيحة [٣] . ثم تنقلنا في عشرات القرى والمدن خلال العشرة الأيام التالية لليوم الأول، من الرحلة، أي من (٤/٢٧-١٤٣٣/٥/٧هـ[٤]. وقد مررنا على

---

(١) في الأيام العشرة التي قضيتها في هذه الرحلة، لم أكن مدعوماً من مؤسسة حكومية أو أهلية، وإنما ذهبت بطريقة فردية، ولنا عشرات الأصدقاء والطلاب القدماء في عموم منطقة جازان، ولهذا حللت ضيفاً على بعضهم مثل محمد أبو فراس القحطاني في قرية الفطيحة، و علي أحمد نهاري في حقو ماغص، وربيع مهدي عطية في قرية الباحر بصبيا، ومحمد بن يزيد الحكمي الفيفي في جبل فيفا، وصبري ناصر محمد مكين في قرية خضير في وادي جازان، وحسين راجحي في قرية الخزنة بأبي عريش، ومحمد حسن أبو عقيل في مركز القفل بمحافظة سامطة. وهؤلاء الأساتذة الكرام قدموا لي خدمات كثيرة يصعب حصرها من استضافة، ولطف معشر، وتنقلوا معي كل في ناحيته وما حولها فكانوا خير رفيق ودليل ومرشد . وليس لهم منا إلا الدعاء، والله نسأل أن يغفر لنا ولهم ويجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم . وفي الأيام الأخيرة من رحلتنا اتصلنا ببعض المسؤولين في جامعة جازان مثل: أ . د. علي الكاملي، وكيل الجامعة للجودة والتطوير فأكرمنا جزاه الله عنا كل خير باستضافتنا بمدينة جازان لعدة أيام على حساب الجامعة في فندق برج أوقات سعيدة، وفي تلك الأيام استطعنا مراجعة ما شاهدناه ودوناه وسمعناه، ومن ثم تمت كتابة هذا القسم . ومن على صفحات هذا الكتاب أشكر جامعة جازان على ما تقدم من خدمات للدراسة والبحث العلمي، كما أشكر الإخوة الكرام المذكورة أسمائهم أعلاه، وأيضاً أشكر كل من كان له فضل علينا، ولم يرد اسمه، في إنجاز هذه الجولة القصيرة في عرف الأبحاث العلمية، كما أشكر كل من قابلت من الإخوة الجازانيين الفضلاء الذين لم يبخلوا علينا بأوقاتهم وجهودهم الجسدية والفكرية وغيرها. وأسأل الله عز وجل أن يبارك لهم في أعمارهم وأعمالهم . والله من وراء القصد .

(٢) الروايات الشفاهية مهمة جداً في رصد بعض الصور التاريخية المختلفة، مع الحرص على تمحيص مثل هذه المصادر التي ربما يشوب بعضها المغالطات أو المبالغات أحياناً .

(٣) هذه المنطقة التي ذهبنا إليها أول يوم كان معظمها يتبع إدارياً لمنطقة عسير. ويعتبر الطريق الممتد من جسر رجال ألمع إلى الفطيحة فاصلاً إدارياً بين منطقتي جازان وعسير . ونلحظ أن معظم الأراضي الزراعية الواقعة على الجزء الجنوبي من ذلك الطريق كان مملوكاً لأهالي الجبال من منطقة عسير الذين عمروها بإنشاء المزارع والمنازل المتنوعة في أحجامها وأشكالها .

(٤) لن نسهب الحديث عن التفصيلات الشخصية من حيث الجلوس والقيام والنوم والحركة الذاتية لتنقلاتنا. وإن فعلنا ذلك فسوف نسجل كماً هائلاً من المعلومات التي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية .

الحقـو، (حقو ماغص)[١]، وهروب، والصهاليل، والعزيـين، ومنجد، والريث[٢] . ثم سرنا في منطقة الخبت، بيش، والدرب والشقيق[٣]. ورجعنا إلى صبيا وتجولنا في العديد مـن قراها الداخليـة والساحلية، وصعدنـا إلى الجبل مرة ثانية فتجولنـا في فيفا وبني مالـك ووقفنا على بعض قراها مثل العيدابي والدائر، ووصلنا إلى أعلى جبل طلان[٤] . ثم نزلنا في السهل حتى مدينة جازان[٥]، وانتقلنا إلى مدينة أبو عريش[٦]، وصعدنا مرة أخرى إلى محافظة العارضة ثم إلى جبال العبادل[٧] . وانتقلنا في أيام تالية إلى كل من أحـد المسارحة، وسامطـة[٨] . وشاهدنا العديد من أحيائها وقراهـا وجبالها وأوديتها، وقضينـا بعض الوقت في مشاهدة المناطـق الحدودية بين اليمن والسعودية مثل: الموسم (الشرجـة قديماً)، والطـوال، والخوبة[٩]. هـذه الجولة أخذت منا تقريبـاً عشرة أيام سجلنـا فيها بعض المشاهدات والأقـوال والروايات التي سمعناها مـن أهل البلاد[١٠] .

---

(١) اسمـه حقو ماغص نسبـة إلى جبل ماغص الذي يطل على بلدة الحقو . وكان أهل الحقو أساساً في الجبل ثم نزلوا عند سفح جبل ماغص .

(٢) هـذه المناطـق تقع جميعها في الناحية الشمالية الشرقية من منطقة جـازان . وهي مناطق بكر للبحث والدراسة في مجالي التاريخ والحضارة .

(٣) هذه المناطق أيضاً ساحلية سهلية في الأجزاء الشمالية من منطقة جازان .

(٤) بلاد فيفا وبني مالك وجبل طلان أجزاء جازان الجبلية وتقع في الناحية الشمالية الشرقية من مدينة جازان .

(٥) مدينة جازان العاصمة الإدارية، وهي جديرة بالدراسة في شتى الجوانب التاريخية والحضارية والتنموية.

(٦) أبـو عريش : تقع إلى شرق مدينة جـازان، وهي مدينة تاريخية هامة تستحق المزيد مـن البحث والدراسة . كما أن مـدن صبيـا، وبيش، والدرب، والشقيق هي الأخرى تحتاج إلى دراسـات علمية أكاديمية ونتطلع إلى أن تخدم بحثياً من قبل المؤرخين والباحثين ولا سيما من أهل المنطقة .

(٧) العارضـة والعبـادل إلى الجنـوب الشرقي من مدينـة جازان، وهي ميـدان جديد للباحثين في المجـالات التاريخية والجغرافية والاجتماعية واللغوية . ونأمل أن تدرس من قبل المتخصصين في جامعة جازان وغيرها .

(٨) أحـد المسارحـة وسامطة في الناحيـة الجنوبية من مدينة جـازان، وهي ميادين خصبة لمجـالات البحث التاريخي والأثري والجغرافي واللغوي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي . ونأمل من أبناء جازان الباحثين والمعلمين أن يولوا هذه المجالات كبير اهتمام في بحوثهم ودراساتهم .

(٩) هذه الأجزاء الحدودية تستحق أن تدرس من حيث التركيبة الجغرافية والسكانية . كما أنها ميدان جديد للدراسات التاريخيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة واللغويـة والتعليميـة . ونأمل من الإخـوة الجازانيين وبخاصـة الأكاديميين والمتعلمين في مجالات العلوم الإنسانية أن يولوا هذه المناطق بعض الاهتمام في أطروحاتهم ، وهي جديرة بذلك .

(١٠) عشـرة أيـام قليلة جداً في رصد وتوثيق تاريخ هذه المنطقة الحضارية الجازانيـة، وذلك للتنوع الجغرافي والبشري الـذي تعيشه هـذه البلاد خلال العقود الثلاثة الماضيـة . كما أن رصدنا التاريخي لهـذه المنطقة يتركز على العصر الحديـث وبخاصـة منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م-٢١م) إلى وقتنا الحاضـر. وجزء مثل هذا القسم غير كاف، لأن مـا تعيشـه أرض جازان منذ عقدين جدير بأن يدون عنه عدة مجلدات . وهذه المشاركة فقط تؤكد على وجوب إفراد دراسات علمية أكاديمية مطولة عن تاريخ التنمية الحضارية التي تعيشها هذه المنطقة الجنوبية السعودية التهامية. ونتطلـع إلى أن نـرى أبناءهـا طلاب الدراسـات العليا من منطقة جـازان فيخصصوا بعض بحوثهـم وأطروحاتهم العلمية التي تخدم منطقتهم ثقافياً وعلمياً وأدبياً وفكرياً .

وقد قسمنا مادتنا العلمية التي جمعناها إلى محاور عديدة مثل:[١] التركيبة الجغرافية والبشرية، وحياة الناس الاجتماعية العامة، والحياة الاقتصادية، والحياة التعليمية والثقافية والفكرية والأدبية . ثم خرجنا ببعض التوصيات والنتائج التي استخلصناها من سيرنا ومشاهداتنا في هذه الديار التهامية.

ثانياً : التركيبة الجغرافية والبشرية :

١- التركيبة الجغرافية :

ذكر كثير من الجغرافيين والمؤرخين تنوع الحياة الجغرافية في جازان، فهي تجمع بين تضاريس المرتفعات الجبلية مثل: بلاد العارضة، وفيفا وبني مالك، والريث . والأراضي الخبتية السهلية مثل: سامطة، وأحد المسارحة، وأبو عريش، وأجزاء من مدن جازان، وصبيا، وبيش، والدرب . أما الجزء الثالث فهي البلاد الساحلية والجزر مثل: القحمة، والشقيق، وأجزاء من مدن بيش وصبيا وجازان وسامطة وجزيرة فرسان[٢] .

من خلال تجوالنا شاهدنا الكثير من المعالم الجغرافية التي لا نرغب تكرار المعلومات الوصفية التي ذكرها معظم الجغرافيين مثل: طبيعة التضاريس، والمناخ، والغطاء النباتي، والثروة الحيوانية وغيرها[٣] . وإنما نشير إلى صور مما جرى على التركيبة الجغرافية في هذه البلاد التهامية وهي على النحو التالي :

١. في الوقت الذي زرنا فيه المنطقة نجد عشرات المشاريع التنموية التي نفذت أو تنفذ في المنطقة مثل: شبكة الطرق البرية الهائلة، وإنشاء مدن وقرى

---

(١) لم نسر على منوال الرحالين الأوائل في شرح ما شاهدنا عن كل منطقة في حيز واحد . ومن ينظر إلى القسم الأول من هذا الكتاب يرى كثيراً من أولئك الرحالة تجولوا في أجزاء من منطقة جازان وكانوا يصفون ما شاهدوه على التوالي : فالذي جاء من الدرب إلى بيش وصبيا وجازان يتكلم عن تلك المدن بشكل متتابع . والذي جاء من الجبل مثل : فلبي وشيجر وغيرهما يذكرون مشاهداتهم حسب سيرهم وانتقالهم من ناحية لأخرى . وربما كانت تلك الطريقة أسهل وأدق إذا رغب القارئ أن يعرف ما يدور حول ناحية أو بلدة معينة . أما المدرسة التي سلكناها فهي ترتكز على وحدة الموضوع في عموم المنطقة الجازانية. فالحديث مثلاً عن الجانب الجغرافي سوف يجمع في مكان واحد، وهكذا نسير على نفس المنهج في بقية محاور البحث. وقد حرصنا أن نزور معظم منطقة جازان ثم ندون ما استطعنا في هذا القسم المحدود، وعلى أمل أن نفتح بعض الرؤى والأفكار والموضوعات التي تستحق جهداً أوسع وأعمق من البحث والدراسة.

(٢) هناك بعض الكتب والدراسات فصلت الحديث عن جغرافية منطقة جازان . وللمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة جازان) (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤هـ/٢٠م)، مج (١١)، ص ٢٥ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه . وللمزيد عن جغرافية جازان انظر: عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة، ج٢، ص ١٣٧ وما بعدها . مع أن دراسة الغطاء النباتي والثروة الحيوانية والسمكية في جازان جديرة بالدراسة. وهذه مسؤوليات أصحاب التخصصات التاريخية والجغرافية والزراعية والطبية والعلمية البحتة مثل: علوم الأحياء، والكيمياء، والبيئة وغيرهم . ولعل جامعة جازان تقوم بإنشاء مراكز بحثية تخدم مثل هذه المجالات البحثية المهمة.

عمرانيــة حديثــة، وإقامة مشاريع تجارية كبيرة مثــل: الأسواق، ومدن جامعية واقتصادية، ومشاريــع صناعية، وحدائق ومتنزهات سياحية وغيرها . وجميع هذه الإنجازات الحضارية الإيجابية أثرت سلباً على تضاريس المنطقة. فظهر التصحر، وتهالك الغطاء النباتي الطبيعي، وزاد التلوث البيئي [١] .

٢. نتيجة التطور الحضاري الذي تمر به البلاد ظهرت بعض السلبيات منها انقراض بعض الحيوانــات البريــة والطيــور التي كانــت تتواجد بكــثرة في أنحــاء منطقة جــازان، ومن يبحث عن بعض السباع والحيوانات مثل: النمور والأسود، والذئاب، والثعالــب، والغــزلان، والأرانب . أو النسور، والصقــور، وبعض الطيور والزواحف النــادرة فلن يجدها في الأجــزاء السهلية والساحلية وبعض الأجزاء الجبلية [٢]. وإذا وجــد بعضهــا ففي الجبــال العالية الوعرة مثــل: جبل الحشــر، وجبال سلا بنــي حريص، وجبال قيس، وربما في جبال الريث، وبلغــازي، والعبادل، وآل تليد، وهروب، ومنجد، وفيفا وبني مالك، والجبل الأسود [٣] .

٣. اتســاع المدن والقــرى العمرانية اقتطع أجــزاء كبيرة من الطبيعــة الجغرافية للمنطقــة. ومن خلال التنقل بين المــدن والقرى شاهدنا إقامــة أحزمة ترابية وأحيانــاً خرسانيــة لمنــع القرى مــن مخاطر السيــول. وهذا ممــا غير ملامح التضاريس في السهول والأراضي الخبتية [٤] .

٤. في الأجــزاء الساحليــة الممتدة من القحمة إلى سامطــة لاحظنا بعض المناطق التــي ظهــر عليها الهبوط، وعند ســؤال أهل البلاد عن ذلك ذكــروا أن ملوحة الأرض الزائدة هي السبب الرئيسي في ذلك [٥] .

---

(١) شاهدنــا بعض الأجزاء الجبليــة التي لم يتغلغل فيها العمــل التطويري التنموي مثل: جبال قيس، ووادي لجب، وبعض الأجزاء الوعرة في كل من بلاد الريث وفيفاء والعارضة فتجد الطبيعة الجغرافية مازالت جميلة نقية زاهية . وإذا كانــت المشاريــع التطويرية قد أثرت على جمال وطبيعــة الأرض، إلا أنك ترى الكثير من الحدائق المنتشرة في المــدن والبلــدات الكبرى . بل ترى أيضاً الأشجار المتنوعة على طــول الطرق الرئيسية في جازان وهذا جانب إيجابي لصالح الحياة النباتية.

(٢) وكذلك الأجزاء المنخفضة من الأودية، مثل: بيش، وتعشر، وخلب، وصبيا، وشهدان. أما لجب وريم والدحن فلا زال بها بعض الطيور والسباع المذكورة أعلاه .

(٣) دراســة الجبال والأودية جغرافياً وتاريخياً في بلاد جــازان موضوع جدير بالبحث والاهتمام . ونأمل أن نرى دراسة علمية موسعة لهذه الأجزاء الجغرافية .

(٤) دراســة هــذه الأحزمة من حيــث البداية التاريخيــة وأسباب إقامتها، وطريقــة التنفيذ تحتــاج إلى دراسات علمية أكاديميــة . ونأمــل من المتخصصين في علوم الجغرافيا والزراعة والعمارة والبيئــة أن يلتفتوا إلى مثل هذه الميادين العلمية، ويكون لها نصيب في بحوثهم وأعمالهم الأكاديمية .

(٥) كون منطقة جازان أرض مالحة، فذلك يؤثر على المنازل والمنشآت العمرانية حيث ينال بعضها الهبوط، وقد شاهدنا ذلك على بعض العمارات في كل من بيش وصبيا وجازان .

٥. في فترة الرحلة هناك جفاف شديد عم المنطقة الجازانية[١]، بالإضافة إلى غبرة شديدة غطت السهل والساحل والجبال[٢] .

٢- التركيبة البشرية :

سكان منطقة جازان يتكونون في الغالب من قبائل عربية قحطانية وعدنانية. فأهل الجبال وبعض سكان السهل الساحلي من قبائل عربية يمانية قحطانية، وهناك الكثير من العشائر والأسر العدنانية . والمتجول في الأجزاء الخبتية مثل: بيش، وصبيا، وجازان، وأبو عريش يجد مئات الأسر والأفخاذ الذين ينتمون إلى طبقات الأشراف المختلفة[٣] . أما الشقيق، والريث، وبلاد فيفا وبني مالك، والعبادل، والعارضة، وأجزاء كبيرة من محافظات أبو عريش، وأحد المسارحة وسامطة فجل سكانها يمانية ويلتقي جميعهم في قحطان وعدنان[٤] .

إن صلات جازان مع سواحل إفريقيا جعل الهجرة المتبادلة بين سكان ساحلي البحر الأحمر (الشرقي والغربي) مستمرة منذ عصور قديمة . ولذا فإن بعض السكان العرب والأفارقة كانوا يقدمون إلى جازان لممارسة أعمال مختلفة، وبعضهم استوطن نواحي عديدة منها، وأصبحوا ضمن نسيج المجتمع الجازاني حتى اليوم[٥] .

---

(١) هذا القحط والجفاف يكاد يكون عاماً على جميع أنحاء المملكة العربية السعودية وما جاورها من بلدان. وقلة الأمطار سببت أيضاً ملوحة شديدة للمياه الجوفية . ومنذ عدة شهور لم يسقط المطر، وهذا مما جعل بعض الزروع والأشجار والطيور والحيوانات تنقرض . مشاهداتنا ومعاصرتنا لهذا الوضع منذ شهر شوال عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

(٢) بلاد تهامة - من مكة المكرمة إلى اليمن - يسودها تزايد الغبار والأتربة خلال الصيف . وعند نزولنا إلى جازان كنا في أواخر فصل الشتاء، ومازال هناك حوالي شهرين عن حلول الغبار الموسمي . وربما الغبار الذي شاهدناه كان عارضاً . وغبار الصيف يستمر حوالي شهرين إلى ثلاثة شهور ثم يتحول إلى عوالق ترابية في الجبال . معاصرة الباحث لهذه الظواهر الطبيعية .

(٣) خلال جمع مادة هذا القسم، وفي زيارات سابقة لبعض أجزاء جازان من البرك والقحمة والشقيق إلى مدينة جازان التقينا بالعديد من الأسر والأفراد العدنانيين الهاشميين الذين أطلعونا على مخطوطات ومشجرات تثبت انتسابهم إلى الأشراف . ومن يدرس التاريخ السياسي لمنطقة جازان منذ القرون الإسلامية الوسيطة يجد أن بعض أسر الأشراف تولت أمور البلاد السياسية والإدارية لقرون عديدة . ونرجو من الأشراف في هذه البلاد وبخاصة الذين لديهم مخطوطات تؤرخ للمنطقة ألا يبخلوا بها على طلاب البحث العلمي .

(٤) دراسة التركيبة البشرية لبلاد جازان جديرة بالبحث والدراسة الأكاديمية الموثقة . ونأمل أن نرى من طلابنا من يتول مثل هذا الموضوع بالبحث الأكاديمي التحليلي .

(٥) يشاهد المتجول في أجزاء جازان عناصر من أصول إفريقية وهم يتمتعون بجميع حقوق المواطنة السعودية، بل بعضهم يعود تاريخ أجداده إلى مئات السنين . وكذلك بعض العشائر والبطون القبلية التي أصولها من قعر اليمن، وقد نزح أجدادهم الأوائل إلى مواطنهم الحالية قبل عشرات العقود .

هنـاك عناصر إفريقية تعيشـ في جازان اليوم، وليسوا من أهـل المنطقة وبعضهم نظاميـون لديهـم إقامات رسميـة مثـل: السودانيين وبعضـ الأفارقـة الآخرين الذين يعملـون في مهـن عديدة مثل: الأطبـاء، وأساتذة الجامعة، وعمـال في عدد من الحرف الاقتصادية. وشريحة أخرى غير نظامية مثل: الأحباش والإريتريين فهم متواجدون في أجزاء مختلفة من البلاد وهم من فئة المجهولين والمتسللين . كذلك أجناس عربية أخرى، ومنهـم اقاماتهم نظامية . فالنظاميـون مثل: المصريين، والفلسطينيـين، والأردنيين، والسوريين، وبعض المنتسبين إلى شمال إفريقيا، وكذلك اليمنيين . وجميعهم يعملون في شتـى المهن مثل: الأعمال الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية، والتعليمية، وغيرها[١]. وعناصـر أخرى مجهولة واقاماتهم غير نظامية وخاصـة من اليمنيين، وهذه الشريحة تمثـل نسبة كبيرة في مجتمع جازان بل في أجزاء عديدة مـن المملكة العربية السعودية، ومن الجنسين الرجال والنساء. والدولة تعاني كثيراً في الحد منهم والعمل على إعادتهم إلى بلادهم[٢] .

وهنـاك عناصـر أخرى تعيش على أرض جازان وهم مـن المسلمين وغير المسلمين. فالذيـن من بلاد إسلاميـة مثل: الباكستانيـين والبنجاليين، والهنـود، والإندونيسيين. أمـا غير المسلمين مثل: بعض الأوربيـين والأمريكيين، وهم قليل، والكوريين، والفلبينيين وغيرهـم . وجميـع هـذه الأجناس المسلمـة وغير المسلمـة يقيمون بطـرق نظامية، وتم استقدامهـم بطـرق فردية أو حكومية من أجل ممارسة بعضـ الأعمال الاقتصادية، أو التقنية، أو العمرانية وغيرها[٣] .

وإذا دققنا النظر في السكان المحليين لمنطقة جازان، وجدنا أن هناك شرائح سعودية تعيشـ وتعمل في جميع نواحي جـازان . والمؤسسات الحكومية أكبر دليل، والمتأمل في كل مؤسسـة إداريـة حكومية وأحيانـاً أهلية يجدها خليطاً من السعوديـين من جميع أنحاء المملكـة العربيـة السعودية. جاءوا إلى هـذه البلاد لممارسة أعمالهـم الرسمية المعينين

(١) لقـد شاهدنا هذه الأجناس موجـودة بكثرة ومنتشرة في أنحاء منطقة جازان . بل إن كثرتهم ساعدت في دفع عجلة التنمية والاقتصاد التي تعيشها بلاد جازان حالياً .

(٢) نلاحـظ وجود اليمنيـين المجهولين والمتسللين في جازان، وعسير، والباحة، وعـدد من مدن الحجاز ونجد وغيرها . والمواطـن السعودي يتحمل جزء مـن المسؤولية في وجودهم ومساعدتهم على البقـاء والتكاثر، وذلك عندما يتستر أحياناً عليهم ، ويمكنهم من العمل في العديد من الأعمال . وفي العشرة أيام التي قضيناها في أنحاء جازان شاهدنا أعـداداً منهـم غير قليلة يعملون في مهن الزراعة، والرعي وغيرها، وتدفع لهم أجور قليلة من قبل السعوديين الذين يمكنونهم من هذه الأعمال .

(٣) الناظـر في الأسواق، والشـركات، والمؤسسات الاقتصاديـة والحكومية مثل: المطار، والجامعـة، والقطاع الصحي، وصناعة الأسمنت، والبترول، والأعمال البحرية وغيرها يجد أن كثيراً من هذه الأجناس تعمل في هذه القطاعات .

عليهـا ، ومن ثم فإن الكثير منهم يمتلكـون العقارات ويمارسون نشاطات متنوعة[١] .أما الجانب الاقتصادي مثل: الزارعة والتجـارة وأحياناً الأعمال الصناعية فهناك شرائح سعوديـة من جميع بلدان المملكة جاءوا إلى جـازان للاستثمار أو العمل في هذه الأعمال الاقتصاديـة المختلفة[٢] . وكذلك أهل السروات الممتدة من نجران إلى الباحة والطائف تجدهـم من أكثر العناصر السعودية التي قدمت إلى جـازان لممارسة التجارة وبخاصة شراء وبيع الأراضي والعقارات[٣] .

وفي زيارتنا لبعض الأماكن والمدن مثل: جازان، وصبيا، وأبو عريش، ومحافظة سامطة شاهدنا أحياء مليئة بعدد كبير من العناصر اليمنية. وإذا ذهبت إلى بعض الأسواق الأسبوعية في سامطة وصبيا وغيرها تجد جل العاملين في السوق من اليمنيين، وعند سؤال البعض منهم تجدهم مجهولين لا يمتلكون إقامات نظامية[٤]. وهناك من يأتي من اليمن بشكل نظامي للتجـارة والرجوع إلى بلده خلال سبعة أيام مـن دخوله من الحدود السعودية اليمنية[٥]. كما يوجد في بعض المحافظات تجميعات يمنية، نساءً ورجالاً، وهم نظاميون في إقاماتهم. وقـد زرت قرية المجنـة في مركز الطوال، وقرية الزبارة في مدينة صبيا وهم من العناصر اليمنيـة [٦] . وذات أسـر متوسطـة وأحيانـاً كبيرة، يعملـون مع المواطنـين السعوديين في

---

(١) شاهدنـا أعـداداً غـير قليلة في جازان في الوظائف الحكوميـة : مثل المدرسين والموظفين في قطاعـات مختلفة . ومنهم مـن يتـولى مناصب قيادية في عـدد من المؤسسات والقطاعـات الرسمية . كما أن هناك فئة مـن التجار الكبار قدموا إلى المنطقـة واستثمـروا فيهـا وكسبوا خـيراً كثيراً . وقـد اطلعنا على مئـات الوثائق خلال النصف الثـاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وهي تحتوى على أسماء موظفين حكوميين في جازان . وكثير منهم جاءوا من أنحاء المملكة . ودراسة مثل هؤلاء الموظفين وأثرهم على البناء الحضاري جدير بالاهتمام والبحث والدراسة .

(٢) هناك بعض المستثمرين الصغار يعملون في أعمال مختلفة، وتجدهم ذاهبين آيبين بين مسقط رؤوسهم في مناطقهم الرئيسية في المملكة وبين بلاد جازان .

(٣) أهـالي السراة علـى صلات قديمة بالأجزاء التهامية مـن مكة إلى جازان، لكن ما تعيشه جـازان من تنمية حضارية خلال العشر السنوات الأخيرة، جعلت أصحاب الأموال من بلاد السراة ينزلون إلى منطقة جازان للعمل والمضاربات التجاريـة في مجالات عديدة . وقـد شاهدنا منهم النجرانيـين والقحطانيين والشهرانيـين والعسيريين وبعض رجال الحجر يمتلكون المزارع الواسعة، والعقارات المتنوعة في عموم بلاد جازان من الشقيق والدرب إلى جازان وأبو عريش .

(٤) دراسـة موضوع التسلل والمجهولين مهم جـداً لمعرفة أسبابه وأضراره على المجتمـع. وما هي الاجراءات التي يمكن القيـام بها للحد من هذه الظاهرة؟ ونأمل أن تنشئ جامعـة جازان مركزاً بحثياً وقسماً لعلم الاجتماع لدراسة مثل هذه الظاهرة وما شابهها .

(٥) التجـارة النظاميـة وغير النظامية بـين المنطقة الجازانية واليمـن موضوع مهم وجدير بالبحـث والدراسة . وهذه مسؤولية جامعة جازان، ومسؤولية الباحثين والأكاديميين في جامعتي الملك خالد وجازان. ويجب على أقسام التاريخ في هاتين الجامعتين أن تدرس مثل هذه الموضوعات الجديدة والجيدة .

(٦) هاتان القريتان أنموذجاً، مع أن في جازان وغيرها من مدن المملكة الكثير من التجمعات اليمنية والمتباينة في أحجام أسرهـا، ومستواهـا الاقتصادي والاجتماعي . وقد يكـون في جازان مجتمعات من بلـدان وجنسيات أخرى، وذات أحجام أكبر من اليمنيين الذين شاهدنا في قريتي الزبارة والمجنة . ودراسة مجتمع جازان من شتى الجوانب محور كبـير يحتـاج إلى مئات الصفحات . ولعلنا في قادم الأيام نستطيع أن نفرد كتاباً علمياً عن تاريخ جازان الاجتماعي خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . .

مجـالات اجتماعيـة واقتصادية عديدة، إلا أنك ترى سمـات الحاجة والفقر ظاهرة على حياتهم العامة[١].

وفي أثنـاء تجوالنـا على الشريـط الحدودي بـين السعودية واليمـن شاهدنا بعض التغـيرات في التركيبـة الاجتماعيـة في تلك النواحـي وبخاصة بعد الحـرب التي وقعت بـين الحكومة السعودية والحوثيين في عـام (١٤٣٢-١٤٣١هـ/٢٠١٠-٢٠١١م)[٢]. ونتيجة لتلك الحرب نزحت قرى سعودية بأكملها من مواطنها الرئيسية على الحدود الساحلية والسهلية والجبلية، واستوطنت مناطق داخلية في جازان، وبعض الأسر توزعت في مواطن عديدة في المملكة العربية السعودية، وقد شاهدت كثيراً من القرى والأوطان المهجورة في مراكـز : الموسم، والطوال، والعبادل، وفي أجـزاء من محافظات الخوبة، وفيفا وغيرها مـن المناطـق الحدودية[٣]، وتلك الأوطـان والقرى تتفاوت في الكـبر والصغر، وبعضها تشتمل على جميع الخدمات الضرورية وأحياناً الكمالية[٤].

إن التنمية التي تعيشها منطقة جازان أثرت إيجاباً على التركيبة البشرية، فنلحظ أن أهـل البوادي والأريـاف اتصلوا بأهـل الحاضرة، فازدادت ثقافتهـم ووعيهم . كما

---

(١) حبـذا أن تقـوم أقسـام علم الاجتماع في جامعاتنـا السعودية بدراسة هـذه المجتمعات وما يماثلهـا من المجتمعات الوافـدة إلى المملكـة العربية السعودية . ومن يقوم بمثل هذه الدراسـات سوف يجد مجالات خصبة لإخراج دراسة علمية أكاديمية جيدة تساهم في وضع الحلول الكثيرة من المشكلات .

(٢) حـروب الحوثيين مع الحكومة اليمنية ومع الدولـة السعودية خلال العشر السنوات الماضية جديرة بأن يصدر عنها العديد من الدراسات الموسعة . وهذه مسؤوليات المؤرخين السعوديين واليمنيين ونأمل أن نرى بحوثاً علمية أكاديمية في هذا الميدان .

(٣) حـرب الحوثيين (١٤٣٢-١٤٣١هـ) مع المملكـة العربية السعودية أنتجت خسارات كبيرة بـين الطرفين. وهذا الموضوع يستحـق البحث والدراسة العميقة والرصينة، لكن الذي لفـت نظري الخوف الذي ساد تلك الأجزاء الحدودية . وحتى تأمـن الدولـة من شر الحوثيين على الحدود فقد أوجدت منطقة عازلة بعرض (١-٣) كيلو متر من الساحل في الموسم إلى أقصـى الحـدود الجبلية. وهذا مما دفع الحكومـة إلى نقل السكان القاطنين ضمن تلـك المساحة العازلة، وتسعى جاهـدة إلى تعويضهـم عن أوطانهم الرئيسية، وتوفير مناطق آمنة لهم داخل منطقة جازان . وقد قابلت أعداداً كثيرة مـن هـؤلاء النازحين فتجدهم يعيشون في حسرة وألم على فراق بلادهم ومسقط رؤوسهم، وتسمع البعض منهم يتمنى الرجـوع إلى ديـاره . ونأمل من المسؤولين في الدولـة إلى الإسراع في إيجاد حلول جذرية لهـم، لأن كثيراً منهم مازالوا غـير مستقريـن . كما يوجد في تلك المنطقة المعزولـة، وبخاصة الجبلية في بلاد فيفا وبني مالـك قرى مازالت مأهولة بالسـكان، فلـم يتم إخراجهم من أوطانهم، إلا أنهم أيضاً يعانون من نقص الخدمات الضرورية، وصعوبة التحرك من وإلى مواطنهـم . وقـد التقيت أيضاً بالعديد من سكان تلك النواحي ويتطلعـون إلى حلول جيدة تسهل عليهم العيش في يسـر وأمان في بلادهـم. وآثار حروب الحوثيين على اليمـن والمملكة العربية السعودية جديـرة بالبحث والدراسة . ثم خطـورة الحوثيين في المجالين السياسي والفكري يجب أن يجـرى عليها دراسات أكاديمية، وهذه مسؤوليات الجامعات السعودية واليمنية فتؤسس مراكز بحثية تدرس مثل هذه القضايا الشائكة والمهمة والخطيرة.

(٤) شاهدنا قرى عديدة في بعض المراكز التابعة لسامطة مثل مركز : الطوال، والموسم، والقفل، وفي أجزاء من محافظة الخوبـة، وجميعها مقفلة ومهجـورة، ومع تقادم الزمن سوف تندثر وتتلاشى . ونأمـل أن يجرى لها دراسات علمية حتى يستفاد منها ومن البنية التحتية الموجودة في كثير منها.

أن أهـل الحواضـر ذهبـوا إلى أرض الريـف والبادية وتعاملـوا مع سكانهـا اقتصادياً واجتماعياً[١] . كما أن قدوم أهل السراة، والعديد من سكان الحجاز أو نجد أو الشمال إلى جـازان جعلهـم يختلطون بالجازانيين في شتـى صنوف الحياة، بـل إن البعض من الرجـال السعوديـين الوافدين إلى جازان تصاهـروا مع أهل جـازان، وأحياناً الرجال الجازانيـين تزوجـوا من خـارج منطقتهم، وهذا ممـا شكل بعض التغـيرات في تركيبة المجتمع الجازاني[٢] .

ثالثا : حياة الناس الاجتماعية العامة :

١ـ الأسرة والمجتمع :

كانـت الأسـرة والمجتمع الجازاني في القـديم أكثر تواضعـاً ومحدودية في المساحة الجغرافية والتركيبة البشرية [٣] ، فالأسرة الواحدة تتكون من الجد والجدة والأب والأم والأبنـاء والبنـات يعيشـون في منزل صغير قـد لا يتجاوز الغرفة والغرفتـين، وربما زاد اتسـاع البيت وتعددت طوابقه عند بعض المقتدريـن مادياً[٤] . ومجتمع القرية أو القرى الـذي تتكون منه الأسر هو الآخر متواضع في إمكاناتـه الحضارية[٥] . وعند تجوالنا في الديـار الجازانية لاحظنا العديد من التحولات علـى الأسرة والمجتمع الجازاني، ونشير في الصفحات التالية إلى بعض هذه المتغيرات:

---

(١) حيـاة النـاس من المدينة إلى الريف إلى البادية، وأوضاع الناس الاقتصادية تؤثر علـى تركيبة المجتمعات . فأهل البـوادي والأرياف لهـم طابع في سلوكياتهم وتجمعاتهم الخاصة والعامة، بعكس أهل المدن التي يتنوع فيها الحراك الاجتماعـي والثقافي. وعنـد توفر التنمية وتحسين أوضاع الناس الاقتصادية اليـوم أصبحت تتقارب المجتمعات في نمط حياتها الداخلي والخارجي. والناظر إلى وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) مثلاً يجد التفاوت الكبير، فأهل البوادي يختلفـون كثـيراً في تركيبتهم الاجتماعية عن أهل الحاضرة، فأهل البوادي يتنقلون من مكان لآخر خلف مواشيهم، أمـا أهـل المدن فهم أقـرب إلى حياة الاستقـرار وممارسة أعمال التجـارة والزراعة وبعض الحـرف والصناعات التقليدية .

(٢) ظاهـرة الزواج والمصاهـرة من العوامل الرئيسية التي تغير ديموغرافية المجتمعات . ففي السابق كان أهل الساحل والسهول يتزاوجون فقط من قراهم وبلدانهم القريبة . وكذلك الوضع نفسه عند أهل الجبال، أما اليوم فقد اختلط أهل الجبال مع سكان السهول والسواحل . والجازانيون والوافدون السعوديون ازدادت نسبتهم في الزواج من النساء اليمنيـات، وهـذه العادات موجودة بشكل بسيط جداً في الماضي، إلا أن هذه الظاهرة انتشرت بشكل أكبر في العقود الثلاثة الماضية .

(٣) دراسـة التاريـخ الاجتماعي الجازاني خلال القرون الماضية المتأخرة جدير بالبحث والدراسة. وهناك الكثير من الوثائق والرواة وبعض الصور الفوتوغرافية التي ترفد مثل هذا الموضوع. ونتمنى أن نرى من يدرسه دراسة علمية أكاديمية .

(٤) نجـد بعض الرحالين الأوائل قد أشاروا إلى تركيبة المجتمع الجازاني خـلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . وتاريخ الأسرة الجازانية خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) جدير بأن يفرد له دراسات علمية مستقلة .

(٥) المتجـول في أنحـاء بلاد جازان يشهد بعض القرى القديمة وبخاصة المبنية مـن الحجارة مازالت ماثلة للعيان. أما قرى العشش القديمة فلم يبق لها وجود . ونأمل أن نرى من طلاب الدراسات العليا في قسمي التاريخ وعلم الاجتماع في جامعاتنا السعودية من يدرس تاريخ القرى ومجتمعاتها في القرون الثلاثة المتأخرة الماضية .

أ- تزايد حجم الأسر، فالأسرة التي كان أفرادها في السابق يتراوح ما بين (٥-١٥) فرداً أصبحت الأسرة نفسها تنقسم إلى عدد من الأسر وربما ارتفع عدد أفرادها، نساءً ورجالاً إلى العشرات، وأحياناً إلى المئات. والأسرة سابقاً كانت تجتمع في قرية أو موطن واحد، أما أفراد الأسرة اليوم فتجدهم موزعين في أنحاء المملكة. والتطور الحضاري الذي تمر به البلاد ثم ظروف الوظائف والأوضاع الاقتصادية جعلت أفراد الأسرة يتوزعون في مدن عديدة من البلاد. والوضع نفسه يمتد إلى أفراد القرية أو القرى المتقاربة التي يعود بعضها إلى جد واحد[١].

ب- شاهدنا الكثير من القرى والبلدات في الجبال والسهول والساحل، وكنت من قبل قد قرأت عن بعضها، وعند زيارتها وجدت بعض المواقع قد تغيرت معالمها الجغرافية، وربما اندثرت مبانيها، أما سكانها فلا زالوا في مواطنهم، فاستحدثوا قرى وبلدات ومدناً أوسع وأجمل وأفضل[٢]. وأصبح رب الأسرة لا يعيش مع أولاده الكبار في دور أو شقة وربما عمارة واحدة، وإنما كل واحد من رجال الأسرة الواحدة عنده منزله المستقل يعيش فيه، وقد يكون رجالات الأسرة متجاورين في القرية أو الحي أو المدينة التي يقطنونها[٣].

ج- لم تعد الأسر والمجتمعات الجازانية مغلقة، بل صار في القرية أو الحي الواحد في المدينة أسر متباعدة في أنسابها وألوانها ومواطنها الرئيسية التي عاش فيها الآباء والأجداد الأوائل. وحياة المدينة أكثر تعقيداً من حياة القرى والأرياف. فالأولى تجدها خليطاً من الأسر والجنسيات المختلفة في أصولها الأولى، أما الأرياف والقرى فلا زالت أحسن حالاً لأنها تتبع في الأساس مجتمعات عشائرية وقبلية معروفة. وربما كانت التركيبة القبلية لها موجودة في المدن الكبرى لكنها ليست مثل القرى. وإذا توغلت في داخل البوادي والأرياف البعيدة مثل: جبال قيس، وسلا، والعبادل، وفيفا وبني مالك،

---

(١) هذه ظاهرة موجودة في عموم المملكة العربية السعودية، وتطور البلاد حضارياً وتنموياً من أهم الأسباب التي جعلت أفراد القرية أو الأسرة الواحدة يتكاثرون ويعيشون في أجزاء عديدة من البلاد، وربما خارج الوطن وهذا النمو بدأ من آخر القرن الهجري الماضي، ثم زادت وتيرته في العقدين الماضيين. ومثل هذه التحولات وما نتج عنها من آثار إيجابية وسلبية جديرة أن يفرد لها بحوث ودراسات أكاديمية وهذه مسؤوليات الجامعات والمؤسسات العلمية الي يجب الانتباه إلى مثل هذه الدراسات الاجتماعية الإنسانية المهمة.

(٢) ما يشاهده المتجول في منطقة جازان وغيرها من مناطق المملكة لا يصدقه العقل إذا قارنا حياة اليوم بحياة الآباء والأجداد قبل خمسين سنة وأكثر. بل إن الباحث أو الباحثين الجادين المنصفين يقفون عاجزين عن رصد ما تعيشه البلاد في الوقت الحاضر من نهضة وتطور حضاري.

(٣) عاصرت التطورات الاجتماعية التي تعيشها المملكة منذ أربعة أو خمسة عقود. والذاهب في الأجزاء السروية من نجران إلى الطائف، أو من جنوبي مكة المكرمة إلى القنفذة والبرك والقحمة يجد أن وضع الأسر والمجتمعات تتقارب في الحراك الذي يمر فيه المجتمع الجازاني. والتعليم وتوجيهات الدولة تسعى إلى توطين النمو والتحضر في كل مكان، وهذا مما ولد مجتمعاً وشعباً كبيراً له معتقدات ومبادئ وأسس عامة.

والريث فإنك تجد الأسر والمجتمع القروي أوالبدوي مازال أكثر تماسكاً وترابطاً في كثير من عاداته وأعرافه ونظام حياته اليومية [١] .

د - أقمت بعض الوقت في كل من مدن جازان، وصبيا، وأبو عريش، وأحد المسارحة، وسامطة. ثم انتقلت إلى بعض القرى القريبة من هذه المدن، وتجولت في أجزاء من محافظات ومراكز العارضة وفيفا، والدائر، والريث، وصعدت إلى بعض جبالها وقراها العالية واتضح لي أن هناك تقارباً كبيراً بين أسر وقرى هذه البلاد، إلا أن وطأة المدنية في المدن أثرت بشكل سلبي على ترابط أفراد الأسرة أو المجتمع الواحد، فلم يعد هناك ذلك الالتصاق الشديد بالأسرة، أو القرية وبخاصة بين الشباب والشابات وأيضاً الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين (٣٠-٤٠) سنة، وإذا كان هناك من لا يزال متمسكاً إلى حد ما بالترابط والاجتماع في أوقات محددة وبخاصة في أوقات الطعام والشراب، وأداء بعض الأعمال الجماعية في خدمة الأسرة أو المجتمع أو الحي في المدينة. والسبب في هذا التراجع - كما أشرنا سابقاً - الحضارة والتمدن في الكثير من مجالات الحياة، ثم وفرة المال والخير في أيدي الناس جعل بعضهم لا يتقرب كثيراً من قريبه أو صديقه أو جاره، وقد تتزايد الأمور في الاتجاه السلبي[٢] . أما أهل الجبال والأرياف والقرى البعيدة نوعاً ما عن الحواضر الرئيسية فالعلاقات الأسرية والمجتمعية مازالت أحسن حالاً، وربما مع وسائل الإعلام والاتصالات والتقنيات الحديثة تتراجع الأحوال أكثر وأكثر وخاصة في ميدان التآزر والتعاون والتكاتف والترابط . ولهذا فالحكماء من أعيان المجتمع، والمربون، والمعلمون، والشيوخ، وصناع القرار، والمحتسبون والمؤسسات الحكومية والأهلية والتعليمية والأكاديمية وأرباب وربات الأسر عليهم جميعاً مسؤولية عظمى أمام الله - عز وجل - ثم أمام المجتمع والنشء والأجيال القادمة فيعملون جميعاً من أجل الرفع من مستوى التعايش الاجتماعي الراقي الذي يحث على الفضائل والقيم والمبادئ العربية الإسلامية ويحارب ما سواها[٣] .

---

(١) الدراسات المقارنة بين المدن والقرى والبوادي في جازان مهمة جداً وخاصة في الجوانب الثقافية واللغوية والأعراف والتقاليد والتركيبات الاجتماعية المتنوعة .

(٢) تطور أوضاع الناس الاقتصادية سلاح ذو حدين ترفع من مستوى المعيشة في شتى الجوانب، لكنها أحياناً تسبب التكاسل والتقاعس في أمور اجتماعية عديدة مثل: الحفاظ على المبادئ والأعراف والتقاليد الحميدة. وليس كل من تحسنت أحواله المادية تقهقر في الثوابت الاجتماعية، لكن ظاهرة الرخاء والغنى لها سلبيات كثيرة وقد قرأنا عن حقائق وقصص واقعية في هذا الباب على مر التاريخ العالمي والعربي والإسلامي .

(٣) الأمم لا تُبنى بالمال فقط، وإنما الحضارة الراقية يجب أن تجمع بين الجانبين المادي والمعنوي . ونحن نعيش اليوم في فضل وخير ورخاء واسع، وهناك نشاطات كثيرة تصب في بناء الفرد والمجتمع، ولكن المسؤولية علينا جميعاً عظيمة في قيادة أسرنا وإخواننا وأحبابنا ومجتمعنا إلى كل عمل صالح يقربنا ويقربهم إلى قول الحق المبين والصراط المستقيم الذي رسمه لنا ربنا - عز وجل - وبلغنا إياه حبيبنا وقدوتنا نبينا المصطفى، محمد بن عبد الله،

٢- العمارة والبناء :

أشرنا إلى صور من العمارة التقليدية في جازان في الجزء الرابع من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)[١] . وفي الوقت الذي زرنا فيه المنطقة سعينا جاهدين للوقوف على بعض العمارة القديمة فلم نعثر على أثر للعشش المبنية من القش حتى في القرى والأرياف البعيدة عن الحواضر الرئيسية[٢] . وفي تجوالنا في السهول والجبال شاهدنا بعض البيوت الشعبية المبنية من الحجر، وأحياناً من البلك ومغطاة بالزنك أو الخرسانة المسلحة ومازالت تستعمل على نطاق ضيق في القرى، فيسكنها بعض الأسر ذات الدخل البسيط، وقد يتمسك بها بعض كبار السن فيسكنونها حتى لو كان عند أبنائهم بيوت حديثة مسلحة. وهذه البيوت الشعبية تستخدم أيضاً سكناً من قبل العمالة الوافدة إلى البلاد بسبب أجورها الرخيصة [٣]، وقد توضع فيها الأعلاف وأحياناً المواشي وبعض الحيوانات والطيور الأليفة الأخرى[٤] .

أما العمارة الحديثة فتشاهدها منتشرة في جميع أجزاء المنطقة الجازانية، والذاهب إلى المدينة ثم إلى أقصى الأرياف مثل قرى :العبادل، أوالخوبة، أو الطوال، أو الريث، أو جبال قيس، أو الشقيق أوغيرها . فإنه يلاحظ نهضة عمرانية هائلة . ففي صبيا أو جازان أو أبو عريش ترى العمائر والفلل الضخمة المسلحة والمكونة من عدة أدوار ثم تذهب إلى تلك القرى والبوادي البعيدة في أطراف المنطقة فتجد أيضاً البيوت المسلحة الكبيرة التي تصل أدوارها إلى ثلاثة وأحياناً أربعة أدوار. والتفصيل في كيفية البناء، والمواد المستخدمة، والديكورات الموجودة، والمرافق الملحقة بكل منزل، وأنواع الأثاث وغير ذلك يحتاج إلى مئات بل الآلاف من الصفحات كي نرسم صورة متكاملة عن عمارة المنازل في العصر الحديث[٥] .

عليه أفضل الصلاة والسلام .

(١) للمزيد انظر: الجزء الرابع ، ط١ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) ص ١٣٩ - ١٦٤ . ط٢ (مطبوعات جامعة الملك خالد ، ١٤٤٢هـ)، ص ١٢٥.

(٢) العشش المشيدة من القش لا تعمر طويلاً، وربما يطول بها العمران إلى (٣٠-٤٠) سنة، لكنها بعد ذلك تندثر إذا لم ترمم باستمرار. وقد أخبرنا بعض الأصدقاء الجازانيين بأنه مازال هناك بعض العشش في المناطق البدوية السهلية، لكن في الأيام التي قضيتها في ربوع المنطقة لم أر شيئاً من ذلك، إلا في القرى التراثية التي تشتمل على نماذج من العشة، والعريش، والصبل القديم . للمزيد انظر : ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص٣٧ وما بعدها.

(٣) أخبرني بعض السكان في صبيا وفيفا وجازان بأن هناك الكثيرة من البيوت الشعبة في المنطقة مهجورة وقد تسكن من قبل العمالة المتسللة والمجهولة في المنطقة مثل : الأحباش والإريتريين واليمنيين.

(٤) شاهدنا بعض المنازل الشعبية في أجزاء عديدة من المنطقة وقد خصصت لسكن المواشي مثل: الماعز والضأن والأبقار والحمير وأحياناً الكلاب الأليفة والدجاج .

(٥) نرجو أن تهتم جامعة جازان وبخاصة كلية العمارة والتخطيط بدراسة تاريخ العمارة الحديثة الجازانية. وهذا من وجهة نظري واجب على الجامعة تجاه المنطقة وأهلها .

(*) وحتى لا ندخل في تفصيلات دقيقة عن العمارة الجازانية الحديثة، فإننا نشير في الصفحات التالية إلى أهم ما شاهدناه في باب العمران بشكل عام وفي عموم المنطقة، وهو على النحو التالي :

أ- العمارة الخاصة والتجارية والحكومية، مثل: منازل الناس في المدن والقرى فهي في الغالب مسلحة بالحديد والأسمنت وتتكون من طابق وربما ارتفعت إلى سبعة وثمانية طوابق في جازان وصبيا وأبو عريش وأحد المسارحة وسامطة. أما عموم المنطقة فالمنازل أقل من ذلك ومعظمها من طابق وطابقين . والغالب على المدن أنها تشتمل على أحياء متقاربة في منازلها وشوارعها وخدماتها الأخرى، أما الأرياف والقرى الجانبية والمرتفعات الجبلية فترى المنازل متفرقة ومتباعدة، والسبب وعورة الأماكن في الجبال وربما وجود الأملاك الخاصة المتفرقة في بعض المناطق السهلية الواقعة على بعض الأودية أو عند سفوح بعض الهضاب[١] .

ومن زار جازان خلال العشرين سنة الماضية، ثم شاهدها اليوم لا يصدق النهضة العمرانية التي تمر بها البلاد[٢] . وفي غضون (١٠-١٥) سنة تغير الوجه العمراني القديم وصار معظم السكان يسكنون في منازل مسلحة مع توفر جميع الخدمات اللازمة مثل: الحمامات، وخزانات المياه، والكهرباء، والمكيفات، ووسائل الاتصالات الرئيسية، والطرق المعبدة[٣] .

وفي جولاتنا في صبيا، وأبو عريش، وسامطة، وبعض الأجزاء الجبلية شاهدنا بعض الحصون والقصور والأبنية الأثرية المهدمة . ففي صبيا وقفنا على بعض قصور الإدريسي وقصور با صهي وسط المدينة، وبعض الحصون في جبال بني مالك وفيفا، وقصور حمود

---

(١) شاهدنا هذا النوع من المنازل في جبال العبادل، وسلا، وفيفا وبني مالك، ومنجد، والريث، والصهاليل وغيرها .

(٢) زرت جازان في أوائل العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم في أواخر العقد الثاني، وفي منتصف العقد الثالث، أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وشاهدت نمط العمران ثابتاً لم يتغير كثيراً. وفي هذه الزيارة التي خصصتها لتدوين هذا القسم شاهدت تطوراً كبيراً بين الماضي والحاضر. وكان لحمى الوادي المتصدع الذي وقع في جازان عام (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). تأثير عظيم، وبخاصة بعد زيارة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود للمنطقة آنذاك، يوم أن كان ولياً للعهد . ومن تلك الفترة ضاعفت الدولة الاهتمام والرعاية بهذه الناحية الجنوبية حتى صارت من البلاد المتطورة في تخطيطها وبنيتها التحتية، وهي سائرة إلى الأمام (بإذن الله تعالى) .

(٣) سوف نترك الحديث عن الطرق إلى محور حياة الناس الاقتصادية وتحديداً في عنصر التجارة . لكن الذي لفت نظري في الطرق المنفذة بالمنطقة هي : الجسور التي تقع على الأودية الرئيسية . فالذي يسير من مناطق الدرب والشقيق وبيش والريث وهروب وبني مالك وفيفا إلى محافظة سامطة يشاهد عشرات الجسور الكبرى التي نفذ بعضها، والبعض الآخر مازالت الدولة جارية في تنفيذها وهذه المشاريع العمرانية تنفذ على مستوى عالٍ من الجودة والإتقان . مشاهدات الباحث وسيره في طول وعرض البلاد أثناء جمع مادة هذا القسم .

أبـو مسمـار في أبو عريش، وبعض القلاع في مدينة جـازان، والحصن الأثري في سامطة وجميعها اندثرت ولم يبق منها إلا أجزاء بسيطة[١] .

ونلحظ أن الدولة أدركت معانـاة بعض الجازانيين وخاصة أهل البوادي والأرياف، والنازحـين من على الحدود السعوديـة اليمنية، فأصدر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود أمره بإنشاء خمسة مشاريع إسكان تنموية بعدد عشرة آلاف وحـدة سكنية في كل من الحصمـة ورمادة في محافظة أحد المسارحة، والروان في محافظـة العارضة، وخبت الخارش وديحمة في محافظة سامطة . وجميع هذه المشاريع تم اعتمادها، وبدأ العمل في تنفيذها منذ زمن . وقد تم الانتهاء حتى تدوين هذا القسم مـن ستة آلاف وحدة، وتم افتتاح بعضها من قبل أميرِ منطقة جازان في نهاية شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ومازال العمل جارياً في استكمال الباقي[٢] .

أما العمارة التجارية فالبـلاد الجازانية مكتظة بالأبنية الاقتصادية والتجارية[٣]. فالمـدن علـى سبيل المثال تتوافر بها الأسـواق المتنوعة في أحجامهـا وأنواعها، والعمائر المستخدمـة للتجارة تتفـاوت في مساحاتها وارتفاعاتها ومرافقهـا، ومدينة جازان تأتي في المقدمـة بالنسبـة لجـودة عمائـر جميع أنـواع التجـارات[٤] . تليها مـدن صبيا وأبو عريش والدرب وأحد المسارحـة وسامطة[٥]، وكلما ابتعدنا عـن مراكز المدن تناقصت عمائـر المتاجر الكبـيرة، لكن القرى الكبـيرة والبلدات، والقرى الصغـيرة لا تخلو من عمائـر ودكاكين مخصصة للتجارة[٦] . وهناك الفنـادق، والشقق المفروشة، والمحطات

(١) لا تخلـو المنطقـة من آثار ونفوش وتراث عمراني قديم . وقد شاهدت منطقة أثرية ما بـين قريتي الكواملة والريان في وادي جـازان وتبلـغ مساحتهـا تقريباً (١ ×١ كيلـو)، وهي محاطة بسيـاج رديء جداً، ويظهر بهـا العديد من الآثار والمواد المعدنية والفخارية المتنوعة، مما يؤكد على أنها كانت مركزاً حضارياً قديماً . وكليات الآثار والسياحة في المملكـة، والهيئة العليا للسياحـة، وإمارة منطقة جازان وجامعة جازان عليهم جميعـاً مسؤولية تجاه هذه البلدة وغيرها من المناطق الأثرية في المنطقة .

(٢) لقـد وقفت على بعضها مثل: مشـروع الروان في العارضة، ومشروع ديحمة في محافظة سامطة . وهي عمائر مسلحة ذات مستـوى حسـن . ولكـن المهم في ذلـك أن تتضافر الجهود بين الجهـات المسؤولة في الارتقاء بثقافة السـكان الذين سوف يوطنـون فيهـا، لأنهم على مستوى بسيط جداً من الوعي الثقافي والتربـوي، وإذا تم تحسين أوضاعهم المعيشية فالأوضاع النفسية والاجتماعية والثقافية تأتي في مرتبة متقدمة على تحسين الوضع المادي .

(٣) لن نفصل الحديث عن الحياة الاقتصادية، التجارية مثل الأسواق الأسبوعية واليومية، والمراكز التجارية الصغرى، لأننا سوف نذكرها بشكل أفضل في محور التجارة في صفحات قادمة من هذا القسم .

(٤) سوف نشير إلى بعض الأسواق الكبرى في مدينة جازان في محور التجارة في صفحات قادمة .

(٥) سـوف نشـير إلى بعض الأسواق اليومية والأسبوعية في بعض المدن الكبرى في جازان أثناء الحديث عن التجارة في محور قادم من هذا القسم .

(٦) لاحظـت الدكاكين الصغيرة، والسوبر ماركات المتوسطة الحجم علـى جميع الطرقات الرئيسية والفرعية في عموم المنطقة .

التجاريــة، والشاليهات، وصالات الأفــراح، والمراكز الطبية الأهلية وغيرها توجد في كل مدينة كبيرة، والبعض منها في المراكز والقرى الكبيرة في جميع أجزاء المنطقة[١] . كما توجـد الكثير من الورش التجارية المتنوعة داخل المدن والقــرى وعلى الطرق الرئيسية التــي تربط بــين الحواضر والأرياف . وهنــاك مدن صناعية في المــدن الكبرى لإصلاح السيــارات وجميع الآلات، بــل يوجد الكثير من العمارات الخاصــة بالمعارض والوكالات التجارية المختلفة . وهناك مدينة اقتصادية يتم بناؤها حالياً على ساحل البحر الأحمر في محافظة بيش، وهي تشيد على مساحة قدرها (٨ كم × ٨ كم) [٢] .

أمــا العمائر الحكومية فهي من أكثر المنشآت العمرانيــة الظاهرة للعيان . والإمارة تأتي على رأس الهرم الإداري ومقرها مدينة جازان، وهي عمارة قديمة ويشيد لها مبنى جديد في المدينة، ويتبع للإمارة ثلاث عشرة محافظة[٣]، وتتبع هذه المحافظات أكثر من ثلاثين مركزاً، والعديد من هذه المراكز مستأجرة، وأخرى حكومية[٤] . كما أن المؤسسات الإداريــة الأخــرى مــن محاكــم، وشرطــة، ودفــاع مــدني، وإدارات للتعليــم، ومدارس، ومعاهــد ودوائــر حكوميــة أخــرى في المــدن الكــبرى والصغــرى وحــول كل مركــز، ومعظمهــا في مبانٍ حكوميــة، وقليل منها وخاصة في القــرى أو المراكز البعيدة عن المدن مستأجرة [٥] .

---

(١) إن الحديث عن العمارة الحديثة في جازان يحتاج إلى مئات الصفحات كي تتضح الصورة عن هذا الميدان الحيوي المهم .

(٢) شاهــدت في جازان وصبيــا وأبو عريش وسامطة والدرب الكثير من الورش الصناعية التي تمارس العديد من المهن الاقتصاديــة . وغالبيــة هذه الورش مشيدة من البلــك والحديد المسلح، وأحياناً تكون مغطــاة بالزنك. أما وكالات السيارات وما شابهها فهي عمائر مسلحة وموجودة بكثرة في مدينة جازان . أما المدينة الصناعية فحاولت الدخول إليها لكن حارس البوابة منعنا، وسألت بعض المعلمين من منطقة جازان فأخبرونا أن العمل مستمر فيها، وتقع على ساحل بيش .

(٣) محافظــات منطقــة جــازان : صبيــا، أبــو عريشــ، سامطــة، الحــرث، ضمــد، الريــث، بيشــ، فرســان، الدائــر (بني مالك)، أحد المسارحة، العيدابي، العارضة، الدرب، وقد شاهدت أبنية العديد منها، وكانت مبان حكومية .

(٤) من تلك المراكز : وادي جازان، الحكامية، مقزع، منجد، قوز الجعافرة، الكدمي، العالية، الطوال، الموسم، السهي، القفــل، الشقــيري، دفا، عثوان، آل يحيــى وآل زيدان، السلف، جبل الحشر، فيفا، بلغــازي، العزيين، هروب، قيس، القصبــة، الحميــراء، مسلية، الخلاوية والنجوع، الفطيحــة، الحقو، الشقيق، ريم وعتود، الخشــل . دراسة التاريخ الإداري والمــالي لمنطقة جازان خلال القرن الرابع عشر وبداية هذا القرن موضوع جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نــرى إحــدى طالباتنــا أو طلابنا في برنامــج الدراسات العليا في قســم التاريخ بجامعة الملــك خالد فيتخذ هذا العنوان موضوعاً لأطروحة درجة الماجستير.

(٥) وأثنــاء سيرنــا في بعض القــرى البعيــدة عــن المــدن الكــبرى بعشــرات الكيلومــترات تــرى المدارس الحكومية، وبعض الأبنية الرسمية الأخرى، وهذا مما يعكس نشاط التنمية العمرانية التي تعيشها منطقة جازان .

وإذا نظرنا إلى أبنية الجامعة فإنها تأتي على رأس القائمة، والمتجول في مدينة جازان يشهد أن بناء مشروع الجامعة على قدم وساق، وفي سنوات عديدة سوف نشهد قفزة عمرانية هائلة وجميعها ملك للجامعة، وقد تجولت في مشاريع بعض الكليات التي تشيد فتجدها تسير بخطوات وئيدة، وعند اكتمالها مع المستشفى الجامعي والملاعب والمرافق الخاصة بها، فسوف تزداد مدينة جازان نمواً وتقدماً. كما يوجد بعض الفروع للجامعة في بعض محافظات المنطقة، ونأمل أن نرى الجامعة قد فتحت فروعاً لها في جميع المحافظات [١].

والمطار والميناء من الأبنية الحكومية الهامة التي مازالت تحتاج إلى بذل جهود كبيرة في تطوير هذين المجالين الحيويين. وقد أخبرني بعض مثقفي المنطقة أن هناك عملاً جاداً لتوسعة المطار الجديد، ونأمل أن نرى مطار وميناء جازان يضاهيان مطار وميناء جدة والدمام. وإذا خُدم هذان المشروعان خدمة جيدة فإن الفائدة لن تكون للجازانيين أنفسهم، وإنما آثارها الإيجابية سوف تصل إلى أقصى السروات الشرقية الممتدة من نجران إلى بيشة والباحة[٢].

والمساجد والجوامع إحدى المعالم العمرانية المنتشرة في أنحاء جازان، فلا تخلو قرية أو مدينة أو بادية من وجود مساجد وجوامع تتفاوت في المساحات، وفي البناء والتشييد. فالبوادي والقرى الصغيرة يوجد بها مساجد ذات مساحات صغيرة تتراوح بين (٥×٥ م) إلى (١٠×١٠م) وربما أكثر من ذلك قليلاً[٣]. أما البلدات والقرى المتوسطة والكبيرة نوعاً ما فتزداد مساحة المساجد بها وخاصة التي تقام فيها صلاة الجمعة إلى (١٥×١٥م) وقد تزيد مساحة بعضها إلى (٢٠×٢٠م)[٤].. ويوجد في بعض القرى والبوادي أكثر من مسجد وأحياناً جامع[٥].

---

(١) تاريخ جامعة جازان قصير فلا يتجاوز سبع سنوات، وقد سارت بخطوات سريعة إلى الأمام، وقد تزداد تطوراً إذا حرص القائمون عليها وعلى خدمة العملية التعليمية بشكل جيد ومدروس.

(٢) مناطق نجران وجازان وعسير والباحة والقنفذة تتقارب في كثير من المقومات الاقتصادية، وإذا تطور ميناء ومطار جازان فسكان هذه الأقاليم سوف يجنون الشيء الكثير من النمو والتطور الحضاري الذي تشهده المملكة. وهذه المناطق الخمس ذات كثافة سكانية عالية، بالإضافة إلى مواقعها الجيدة التي تربط بين اليمن والحجاز ومناطق الرياض والمنطقة الشرقية مع سواحل البحر الأحمر الشرقية.

(٣) مشاهدات العديد من المساجد، ذات المساحات المذكورة أعلاه، في البوادي والقرى الواقعة ضمن مناطق هروب، والريث، والصهاليل، وفيفا وبني مالك، والعارضة، وسامطة وغيرها.

(٤) يوجد هذا النوع من المساجد في بعض أحياء المدن الكبيرة، وكذلك القرى المزدحمة بالسكان في ضواحي المدن الرئيسية.

(٥) بعض القرى الصغيرة والكبيرة وحتى الأحياء في المدن الكبيرة يوجد بها أكثر من مسجد وقد تصل أحياناً إلى ثلاثة وأربعة مساجد تتفاوت في المساحات بين صغير وكبير. ونلحظ بعض المنازل في الأرياف والمدن ومن مرافقها مساجد صغيرة خاصة بصاحب البيت أو الأسرة الواحدة. وهذه الظاهرة مشاهدة أيضاً في مناطق ونواح عديدة من جنوبي البلاد السعودية، بل في أنحاء المملكة العربية السعودية.

ويوجد على جميع الطرق التي تربط بين مدن ونواحي جازان خدمات عديدة، والمساجد ومرافقها تأتي في أولويات هذه الخدمات [١] .

أما جوامع مدن جازان الكبرى فقد زرت بعضها، وشاهدت جودة بنائها ومن تلك الجوامع ما يلي : جامع الدرب الرئيسي عند تقاطع طريق الدرب بيش مع الطريق العام الواصل بين أبها ومكة المكرمة عبر مدينة الدرب، وجامع صبيا الواقع في وسط سوق صبيا المركزي، وجامع خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في مدينة جازان، والملاصق لإدارة فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المنطقة، وجامع الحكير في مدينة أبو عريش، وفي المدينة نفسها جامع آخر كبير لم يستكمل بعد، وذكر لي بعض سكان أبو عريش أنه من مشاريع الراجحي الخيرية، وقد توقفت عند هذا الجامع فلاحظت عدم استكمال عمارته منذ زمن ربما يتجاوز الشهور وقد يدخل في خانة الأعوام، ولا أدري ما هو سبب عدم استكماله . وإذا صار جاهزاً للصلاة ففي نظري أنه سيكون أكبر جوامع مدينة أبو عريش[٢] .

وفي جنوب منطقة جازان شاهدت جامعاً كبيراً في أحد المسارحة، ويسمى جامع الدحمان وهو على الطريق الرئيسي الذي يسير من جازان إلى سامطة عبر أحد المسارحة . وفي سامطة تجولت في أرجاء المدينة وشاهدت حوالي ستة جوامع، هي : الجامع الوزاري ويقع في الحي القديم في سامطة بجوار الحصن الأثري ومساحته تقريباً (٢٠×٢٠م) غير توسعات حديثة أجريت عليه مؤخراً . وجامع السوق : ويقع في السوق الشعبي بسامطة ومساحته تقريباً (٢٥×٣٠م) . وجامع الكرشمي: ويقع جنوب المعهد العلمي بسامطة، ومساحته تقريباً (٢٠×٢٠م) . وجامع العليا شرق الخط الدولي في مدينة سامطة . وجامع الخوالف، حي من أحياء سامطة في الناحية الشرقية، ومساحته تقريباً (٢٠×٢٠) . وجامع الشيخ حافظ الحكمي في الناحية الغربية من مدينة سامطة،

---

(١) هذا من فضل الله على سكان جازان وغيرهم في جميع أنحاء البلاد السعودية، وهذه الخدمات تراها متوفرة على جميع الطرق البرية التي تربط بين قرى وأرياف ومدن المملكة العربية السعودية . وكانت جازان تعاني في الماضي النقص الشديد في خدمات الطرق وهذا ما شاهدته في زياراتي السابقة للمنطقة قبل عقد وعقدين سابقين .

(٢) كانت زيارتي لمدينة أبو عريش، وهذا الجامع على وجه التحديد يوم الجمعة الموافق (٣٠/٤/١٤٣٣هـ) . وفي اليوم نفسه ذهبت إلى مركز وادي جازان، وتحديداً في قرية الريان، وشاهدت هناك مسجداً أثرياً مبنياً من الحجر ومساحته تقريباً (٢٠×١٥)، ومازالت تقام فيه صلاة الجمع والجماعات . ومن خلال تجوالي في المسجد وجدت جدره الرئيسية يزيد عرضها عن متر، وعليه من الأعلى قباب حجرية على شكل نصف دائرة، وبداخله أربعة أعمدة حجرية يصل عرضها من الأعلى إلى (٢,٥-٣ م) وفي القاعدة يتراوح العرض ما بين (٩٠سم) إلى متر وربما متر وعشرة سنتيمترات . وهناك ملحق مضاف إلى المسجد الرئيسي مبني من البلك والزنك . وفي نظري أن المسجد الأساسي يعود تاريخه إلى قرنين من الزمان وربما أكثر من ذلك .

ومساحته تقريباً (١٥×٢٠م) غير التوسعات التي أضيفت إليه[١] . وفي محافظة الخوبة شاهدت جامعين كبيرين هما : جامع الخوبة، وجامع حسن منصور الحارثي[٢] .

(*) ومن خلال مشاهدتنا لعمارة المساجد والجوامع في منطقة جازان، استخلصنا عدداً من النتائج، ومن أهمها ما يلي:

أ- التربية الدينية التي يعيشها الجازانيون، فتجدهم حريصين مواظبين على تعمير وخدمة بيوت الله عز وجل . وعند دخولنا أي مسجد صغيراً أو كبيراً في أوقات الصلاة تجده مملوءاً بالمصلين الذين يرجون رحمة الله ومغفرته ،

ب- الجهود الجبارة التي تبذلها الدولة في خدمة بيوت الله في كل صقع من أصقاع المنطقة الجازانية، فعند الدخول إلى الجوامع الكبرى تعجز العين عن وصف ما تراه من جودة في البناء، واستكمال اللازم لكل جامع من كهرباء، وأثاث، ومكيفات، ودفع رواتب للقائمين على الجامع من الأئمة والمؤذنين والخدم والحراس. وإن ذهبت إلى المساجد الصغيرة في الأحياء والقرى والأرياف وعلى جنبات الطرق الرئيسية تجدها أيضاً مخدومة بجميع الضروريات الخاصة بهذه المساجد . ولا تخلو الجوامع الكبيرة من مرافق مثل الحمامات وسكن للأئمة والمؤذنين، وفي المساجد الصغيرة تتوفر مرافق الحمامات، أما مساكن الأئمة والمؤذنين فغالباً لا توجد إلا في الجوامع الكبرى[٣] .

ج- من خلال السؤال عن الجوامع الآنف ذكرها، وجدنا بعضها أشرفت الدولة على تشييدها والإنفاق على عمارتها، وهناك جوامع أخرى عديدة في أبوعريش، وأحد المسارحة، وسامطة، والخوبة قام على بنائها أثرياء محتسبون، وبعض تلك الجوامع سميت بأسماء من أنفق عليها وبناها[٤] .

---

(١) هذه الجولة التي قضيتها في محافظة أحد المسارحة وسامطة كانت برفقة الأخ الصديق الأستاذ محمد حسن أبو عقيل أحد أبناء مركز القفل بمحافظة سامطة، وقد أكرمني جزاه الله كل خير بأن استضافني في منزله وتجول بنا في عموم محافظات أحد المسارحة، وسامطة، والخوبة، والحرث، وأرشدنا إلى الكثير من التفصيلات التاريخية والحضارية الخاصة بتلك الأجزاء من منطقة جازان، ونقول من على صفحات هذا الكتاب أن اجزاء منطقة جازان الجنوبية تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين لدراستها تاريخياً واجتماعياً وأثرياً وأدبياً ولغوياً وحضارياً، ونعول على جامعة جازان وعلى الأكاديميين الجادين بها أن يولوا هذه النواحي كبير اهتمام في بحوثهم وأطروحاتهم العلمية . كما يجب على الجامعة أن تفتح مراكز بحثية اجتماعية وحضارية تعتني بالمجتمع الجازاني بشكل عام وبأجزائه الجنوبية بشكل خاص .

(٢) كانت جولتنا مع الأستاذ محمد حسن أبو عقيل في المحافظات الجنوبية من منطقة جازان يومي السبت والأحد الموافق (١-٢ /٥/ ١٤٣٣هـ) .

(٣) إن دراسة تاريخ المساجد وعمارتها في منطقة جازان جدير بالبحث والدراسة، حبذا أن نرى بعض المؤرخين أو المهندسين المعماريين وقد نال هذا الموضوع اهتمامهم في بحوثهم ودراساتهم العلمية .

(٤) بناء المشاريع الخيرية مثل المساجد والجوامع وغيرها من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث

د - من خلال دراسة وضع المساجد والجوامع المعمارية، يستحسن أن يدرس كل ما يتعلق بها عمرانياً، واجتماعياً، ودعوياً، وفكرياً وتعليمياً . وهناك قطاعات أخرى حكومية وأهلية لها علاقة بالمسجد والجامع مثل: عموم السكان من المصلين، وطلاب العلم الشرعي من الأئمة والقراء، وأيضاً الأغنياء والمحتسبين الذين يبحثون عن الأجر من الله عز وجل، وكذلك فرع وزارة الشؤون والأوقاف المسؤولة إدارياً وماليا عن المساجد[١] .

ومن أنواع العمارة في جازان الحدائق والمتنزهات العامة ومدن الألعاب الرياضية والترفيهية، وهذه غالباً لا توجد إلا في المدن والبلدات الكبيرة . وقد شاهدت بعضاً من هذه المنشآت في مدينة جازان وصبيا وأبو عريش . والمتجول بين مدن وضواحي منطقة جازان يشاهد بعض الحدائق المزروعة وأحياناً المشجرة ببعض أشجار الزينة، وهذه الحدائق أو بعض أماكن التنزه نجدها مخدومة بالإضاءات والحمامات وبعض الخدمات الأخرى كالبوفيهات أو المطاعم وغيرها[٢].

كذلك المدرجات الزراعية في مناطق الجبال مثل: العارضة، والعبادل، وجبل قيس، وجبل فيفا، وجبال بني مالك، وجبال الحشر، وآل تليد، وجبال الريث، والجبل الأسود، وجبال بلغازي، وجبل منجد[٣]، بها زراعة الحبوب والبن، والموز، والرمان، والتين وغيرها. والناظر إلى طبيعة أرضها يجدها تتفاوت في الارتفاع والوعورة، ثم إن جميع أراضيها الزراعية تحف بها أسوار حجرية على هيئة مدرجات من أجل حفظ تربتها[٤] .

والدراسة في عموم جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، والقنفذة، ونجران، وجازان) ونأمل أن يخدم هذا الموضوع بحثياً من قبل المؤرخين والمتخصصين في علوم الاجتماع والدعوة والاقتصاد والهندسة المعمارية.

(١) كان دور المساجد والجوامع في القديم كبيراً جداً ولا سيما في خدمة المجتمع، واليوم ازدادت أعداد هذه المنشآت الدينية، لكن تأثيرها قل عما كانت عليه في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . ويجب الحرص على تفعيل دور المسجد والجامع من أجل نشر الخير والفضيلة بين عموم أفراد المجتمع .

(٢) تاريخ السياحة والنزهة وما يتعلق بهما من حدائق أو أماكن سياحية جديرة بالبحث والدراسة . وكون جازان تشتمل على الساحل، والسهول، والمرتفعات الجبلية، فهي أيضاً تحوي الكثير من الأماكن الجميلة للنزهة، التي تحتاج إلى ذكر واهتمام من الناحية البحثية والمعرفية .

(٣) لقد زرنا بعضاً من هذه الجبال والمرتفعات وتجدها ذات غطاء نباتي جيد، بالإضافة إلى وجود الأراضي الزراعية بها، لكنها تختلف عن مناطق السهول من حيث ضيق أرضها وتدرجها . وهذه النواحي الجبلية جديرة بالبحث والدراسة من قبل المتخصصين في علم التاريخ والآثار والجغرافيا، وعلوم الحيوان والنبات، والعلوم الزراعية، والطبية، والعمرانية . ونرجو أن نرى أصحاب هذه التخصصات في جامعة جازان يولون هذه المنطقة اهتماماً كبيراً في بحوثهم ودراساتهم العلمية.

(٤) توجد المدرجات الزراعية بشكل كبير في مناطق اليمن الجبلية وبلاد السروات وفي مرتفعات جازان، وقد ذكرتها الكثير من المصادر القديمة، وهناك دراسات عديدة حول هذه الناحية العمرانية . لكن المدرجات الزراعية في جبال

وهذه المدرجات أيضاً توجد في بعض نواحي جازان السهلية وبخاصة القريبة من الأودية وعند سفوح المرتفعات الجبلية [١].

وفي بعض أودية جازان وحول بعض القرى شاهدنا بعض الحواجز والمصدات المبنية من الخرسانة المسلحة، وذلك من أجل منع السيول من دخول القرى وتخريب المزروعات. وقد رأيت في محافظات سامطة، وأحد المسارحة، وأبو عريش تفاوتاً في ارتفاع هذه المصدات، وغالباً تتراوح بين متر وأربعة أو خمسة أمتار[٢].

والمقابر تعد من أنواع العمارة الجازانية، وفي أثناء تجوالنا في عموم منطقة جازان شاهدنا معظم المقابر في المدن تم تسويرها بجدر خرسانية يصل ارتفاعها ما بين (٢-٣م). وإدارة البلديات هي المسؤولة عن هذا العمران. وعند ذهابنا إلى بعض البوادي في مناطق الريث والعبادل وقيس وغيرها من المرتفعات شاهدنا بعض المقابر غير المسورة. ونأمل أن تقوم البلدية بمضاعفة الجهود في هذا الجانب، وذلك من باب إكرام الأموات في مقابرهم، وحفظها من عبث الحيوانات أو بعض الجهلاء من الناس[٣].

٣. الطعام والشراب:

في الأيام التي قضيناها في نواحي عديدة من منطقة جازان جعلتنا نتناول أطعمة عديدة، وفي أماكن مختلفة. فقد نزلنا ضيوفاً على بعض أبنائنا وطلابنا وأصدقائنا في محافظات صبيا، وبيش، ومدينة جازان، وأبو عريش، وأحد المسارحة، وسامطة، بل زرنا إخواناً كراماً في بلاد فيفا وبني مالك والعارضة. كما حضرنا بعض الولائم في مدينة جازان والحقو وأبو عريش، وذهبنا إلى مطاعم ومقاهي عامة، وسكنا في الفندق لبعض الوقت. وكل هذا التنوع في المكان جعلنا نطلع على الأطعمة والأشربة التي يتناولها الجازانيون أو من جاء إلى منطقتهم. ونلخص ما شاهدنا في النقاط التالية:

منطقة جازان مازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسات العلمية الأكاديمية، وهذه مسؤوليات الأكاديميين الجيدين في جامعاتنا السعودية.

(١) شاهدت أيضاً الكثير من هذه المدرجات في بعض الأجزاء من محافظات سامطة، والعارضة، والدائر، وبيش. والمدرجات في عموم جازان تتفاوت في الارتفاع والسماكة وذلك حسب مواقع المزارع التي تحيط بها هذه المدرجات.

(٢) مشاهدات الباحث خلال (١-٣/٥/١٤٣٣هـ).

(٣) الدولة لم تدخر - مشكورة - جهداً في خدمة الموتى في مقابرهم، ومن يتجول في أنحاء البلاد السعودية يجد معظم المقابر في المدن والحواضر محاطة بأسوار مسلحة، ونأمل أن يستكمل هذا المشروع فلا نرى مقبرة بدون حائط خرساني. كما أن دراسة تاريخ المقابر في المملكة أو في جنوبي البلاد السعودية جدير بالاهتمام والبحث والدراسة من قبل المؤرخين والآثاريين وغيرهم.

أ - الناظر إلى قوائم الأطعمة المقدمة في المطاعم العامة والفنادق ومراكز الاستراحات يشاهد أسماء كثير من المأكولات والمشروبات وبعضها وافد على المنطقة، بل على المملكة العربية السعودية. ومثل هذه الأطعمة العامة كتب فيها مؤلفات ومجلدات عديدة، وهذه المؤلفات تباع في المكتبات التجارية العامة وعليها إقبال شديد من النساء وبعض المهتمين بفنون الطهي والطعام والشراب[١] . والذاهب إلى المطاعم التجارية والفنادق يحتار أحياناً في نوع الطعام الذي يطلب وذلك لكثرتها وتنوعها[٢]. ولهذا فلن نفصل الحديث عن هذه الأطعمة التجارية[٣].

ب - يقدم الأهالي في منازلهم وخاصة للضيف أو الضيوف بعض الأطعمة المصنوعة من الأسماك أو اللحوم المختلفة[٤]، بالإضافة إلى بعض الأطعمة الشعبية التي عرفتها منطقة جازان في الأزمنة الماضية ومازالت معروفة ودارجة بين الناس، وهي كثيرة، ومن أهمها : الخمير والعصيدة والمفالت[٥]، والمرسة والمفتوت والثريث[٦]، والمحشوش والحنيذ والمرشوش والزومة[٧]، والملعلع والقوار والقطيبة والمدول[٨]، والويكة

---

(١) لقد التقيت ببعض تجار الكتب أو العاملين في المكتبات التجارية في كل من عسير، وجازان، والقنفذة، فأخبروني أن النساء في هذه البلاد يشترين باستمرار كتب الطبخ المعروضة عندهم، ويزداد الطلب على هذه الكتب في الإجازات وأيام إقامة معارض الكتب .

(٢) جميع الأيدي العاملة في المطاعم التجارية من غير السعوديين، ومن النادر أن تجد سعودياً، وإن كان بعض السعوديين بدءوا يعملون في المطاعم العالمية في الأسواق الكبيرة في مدينة جازان . أما جل العمالة فهم من جنسيات عديدة مثل: اليمن، والهند، وبنجلاديش، والفلبين، والسودانيين، والمصريين وغيرهم . ودراسة تاريخ الطعام والشراب والعمالة في هذا الميدان جديرة أن تكون عنواناً لكتاب أو بحث علمي، ونأمل أن نرى من أبناء منطقة جازان، أو من الباحثين الجادين من يتولاه بالدراسة والتحليل.

(٣) ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى بعض المطاعم في أسواق الراشد (الراشد مول) في مدينة جازان، وذهبنا أيضاً إلى بعض البوفيهات والمطاعم المتوسطة والصغيرة في صبيا وأبو عريش، ورأينا ما تقدم الفنادق من الأطعمة فوجدناها متنوعة، لكنها تدور في فلك اللحوم والأسماك بأنواعها، والأرز، والسلطات، والحلويات والعصائر .

(٤) هذه الأطعمة يتناولها أفراد الأسرة في منازلهم، والنساء يقمن بإعدادها . وأحياناً يتم شراء أكلات جاهزة من اللحوم والسمك، وهي تطهى وتباع في معظم المطاعم التجارية.

(٥) الخمير: طحين الذرة يخبز في التنور (الميفاء). والعصيدة: ذرة طرية مع السمن والسكر والحليب وأحياناً بالعسل . والمفالت: يطبخ طحين الذرة أو الدخن مع السكر والحليب.

(٦) المرسة : من دقيق البر مع الموز والعسل والسمن البلدي . والمفتوت نوعان: الحامض من خمير الذرة واللبن والبهارات والسمن. والحالي: من خضير الذرة مع الحليب والسمن والسكر. والثريث: من السمن والعسل مع الدخن أو الذرة، وأحياناً يستخدم اللبن والسكر بدلاً من السمن والعسل.

(٧) المحشوش : من الشحم واللحم المقطع المطبوخ . والحنيذ: لحم خروف أو تيس مع البهارات في الميفا . والمرشوش: خمير أو لحوح مع الزيت والبصل واللبن الرائب . والزومة : ذرة أو طحين مع اللبن الرائب والماء ويتم طبخها بشكل جيد .

(٨) الملعلع : لحم وكبدة وكرشة مقطعة مع الشحم والبهارات وتطبخ معاً بشكل جيد . والقوار : طبخ نبات القوار مع بهارات وزيت السمسم. والقطيبة: لبن رائب مع الحليب والثوم والبهارات . والمدول : طبخ اللحم مع البهارات والطماطم والكوسة وعادة يتم طبخها في الميفا، وربما طبخت على البوتاجاز الحديث .

والغلف والحلبة [١] . وقد تناولنا بعض هذه الأطعمة في منازل من استضافنا، كما تقدم الكثير منها في بعض المطاعم الشعبية في مدينة جازان وبعض المدن الكبرى في المنطقة.

ج- الفاحص لنوع الأطعمة والأشربة في جازان يجد الأطعمة الحديثة طغت على الأطعمة القديمة. فالكبار في السن والرجال والنساء متوسطو الأعمار يفضلون إلى حد ما تناول الأطعمة الشعبية، ويتناولون أيضاً استطاعتهم من الأطعمة الحديثة . أما الشباب والأطفال فهم يحبذون تناول الأطعمة الحديثة . والزائر للأسواق الغذائية الصغيرة والكبيرة يجدها تزخر بأنواع السلع الغذائية، بالإضافة إلى الحلويات بأنواعها، والأشربة متعددة الألوان والأنواع والمذاق [٢] .

د- المتجول في أسواق مدن جازان الشعبية، أو الأسبوعية أو حتى السوبرماركات والبقالات الصغيرة والكبيرة سوف يلحظ تنوع الفواكه والخضروات المعروضة للبيع، وبعضها مستورد من خارج المنطقة، والبعض الآخر مثل: الشمام والمانجو والطماطم، والخضروات الأخرى (الخس، والجرجير، والملوخية، والكوسة، والخيار، والفلفل، والباذنجان وغيرها) فهي محلية تزرع في الأرض الجازانية [٣].

هـ- لم أتوغل كثيراً في حياة البادية الجازانية، ولم أر شيئاً من أطعمتهم، وإنما سمعت أقوال بعضهم فذكروا أن جل أطعمتهم من الحبوب التي يجلبونها من أسواق المنطقة [٤] ، بالإضافة إلى أكل اللحوم وشرب اللبن أو الحليب من مواشيهم، وذكر لي آخرون أنهم يأكلون أيضاً لحوم الدجاج، ويجلبون بعض الأطعمة الأخرى من الأسواق اليومية أو الأسبوعية في جميع أنحاء المنطقة [٥].

---

(١) الويكة : نبتة تطبخ مع البهارات والثوم والفلفل الحار، وكذلك الحلبة تشبه في طهيها نبات الويكة. والغلف: يحنذ ثم يقطع قطعاً صغيرة ويخبز مع عجين الذرة (الخمير)، وتسمى هذه الوجبة (المخردل)، وهناك طريقة أخرى لطهيه، حيث يحنذ ورق شجر الغلف الطري في الميفا، ثم يسحق على المطحنة مع الفلفل ويقدم إداماً مع الخمير.

(٢) قديماً كان اللبن وحليب المواشي والماء من أهم الأشربة، ثم عرف الناس في القرون الماضية المتأخرة، شرب القهوة والقشر، ثم الشاي . واليوم أصبح الإنسان عاجزاً عن حصر الأشربة الموجودة في الأسواق أما الحلويات : فكان التمر الحلوى الرئيسية، ثم تلاه أنواع كثيرة من الحلويات المصنوعة محلياً وإقليمياً وعالمياً . دراسة تاريخ الطعام والشراب خلال القرنين الماضيين موضوع جيد وجدير بالبحث والدراسة . جيذا أن نرى أحد طلابنا أو طالباتنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيسجل هذا العنوان موضوعاً لنيل درجة الماجستير.

(٣) منطقة جازان زراعية، وجامعة جازان يجب أن تفتح كلية للزراعة في المنطقة، كما يجب فتح مراكز بحثية زراعية وبيطرية حتى تجري بحوث ودراسات على مزروعات وحيوانات المنطقة . كما أن المتخصصين في الجغرافيا والتاريخ والزراعة يجب عليهم دراسة أحوال المنطقة وبخاصة في المجالات الزراعية .

(٤) التقيت ببعض الرجال من بادية جازان في أجزاء من محافظتي سامطة وأحد المسارحة، وفي بلاد العارضة، وفيفا وبني مالك، وفي الريث، وفي بعض نواحي محافظتي صبيا وبيش .

(٥) المصدر نفسه . والناظر في طرق المواصلات التي تغطي معظم مناطق جازان (جبال، وسهول، وساحل) يدرك أن

و - من يزر بعض المتاحف المحلية في جازان أو يسأل بعض السكان عن أدوات الطهي والشرب، وخاصة التراثية[١]، يلحظ أن هناك العديد من المسميات مثل: البرمة، والمهرس، والمغش، والحيسية، والملحة، والميفا، والتنور، ومركب الجمر وجميعها أدوات لإعداد الطعام . أما أدوات الشرب فهي الأخرى كثيرة مثل: الجرة، والجمنة، والشربة، والدلة، والبلبلة ،والزير، والقوبة، والصحفة، والقعب[٢].

٤- اللباس والزينة :

لباس وزينة الوقت الحاضر تختلفت كثيراً عن الماضي، وعند زيارة العديد من الأماكن في الساحل، والسهول، والمرتفعات، ثم الذهاب إلى الأسواق الشعبية والحديثة، وزيارة بعض المتاحف المحلية، وسؤال بعض شرائح المجتمع استطعنا أن نخلص إلى العديد من الصور في باب اللباس والزينة، وهي على النحو التالي :

أ- اللباس الوطني: الثوب، والغترة، والعقال، والجزمة، يكاد يكون السائد في جميع أنحاء منطقة جازان، وبخاصة للسعوديين من جازان ومن خارجها[٣] .أما العناصر الوافدة من الدول العربية أو الإسلامية أو الغربية والشرقية فالبنطال والقميص يكاد يكون اللباس السائد . وانتشر لباس القميص والبنطال مؤخراً بين الأطفال الصغار (بنين وبنات) وبين المراهقين الذكور، بل نجد من الرجال الذين أعمارهم من (٢٠-٤٠) سنة لا يتورعون عن لبسه في الأسواق والأماكن العامة[٤].

ب- زينة ولباس الجازانيين القديم : مثل الحوك، والوزرة، والسميج (القميص) والمدرعة، وعصابة الرأس المصنوعة من النباتات المحلية، والحناء

البدوي الذي في قمم الجبال يستطيع أن يجلب ما أراد من أسواق المدن في ساعات معدودة . ووفرة المال في أيدي الناس كان عاملاً مساعداً وقوياً في اتصال أهل البادية بالحاضرة، ونتج عن ذلك تبادل الثقافات والمصالح المادية والمعنوية .

(١) أدوات الطهي والشرب الحديثة كثيرة جداً ومنها المصنوعة من البلاستيك، أو الحديد، أو الزجاج، أو النحاس وأحياناً من الخشب والفخار.

(٢) دراسة موضوع الطعام والشراب في جازان موضوع يستحق البحث والدراسة . كما أن العمل على إخراج معجم بأسماء أدوات الطعام والشراب، وجميع الأدوات المهمة التي استخدمها الجازاني في حياته الاجتماعية والاقتصادية جدير بالبحث حتى يعرف جيل اليوم الكثير من تراث الآباء والأجداد . ونأمل أن تتولى جامعة جازان مسؤولية إنشاء متحف تاريخي كبير يجمع فيه جميع تراث وموروث المنطقة الجازانية.

(٣) هذا اللباس هو العام في المدارس، والوظائف الحكومية، واللقاءات الرسمية والمناسبات والاحتفالات الشعبية . وهناك من يترك لبس الغترة والعقال في أماكن النزهة أو الأسواق والمجالس الخاصة وأحياناً العامة .

(٤) انتشرت عادة اللباس الأجنبي (البنطال والقميص) عند شباب المملكة العربية السعودية في العقود الثلاثة الأخيرة . ويجب دراسة ألبسة الآباء والأجداد القديمة قبل أن تنقرض ويأتي أجيال لا يعرفون أي شيء عن تراث وحضارة أسلافهم .

والخـواتم للنساء والرجال، والخناجر والأحزمـة للرجال[١]. وزينة النساء والرجال القديمـة وبخاصة في الـزواج والمناسبات الاجتماعية الأخرى تجدهـا تلاشت بشكل كبـير، ومـازال هنـاك من يمارس بعضهـا من كبـار السـن، وربما بعض الرجال والشبـاب، لكنهـا في طريقهـا إلى الانقراض[٢]. والمتجـول في الأسـواق التجاريـة الكبـيرة، والمشاهـد للمناسبات الاجتماعية، ومن يسأل بعض الجازانيين فإنه يجد الرجـال أكـثر التزامـاً باللباس الوطني[٣]. أمـا عالم النسـاء فالـذي سمعناه من بعض الـرواة، وشاهدناه من الموديلات وأنـواع الألبسة المتعـددة في الأسواق يتضح أن المـرأة عرفت الكثير من الموضـات الإقليمية والعالمية [٤]. والشيء الموفق والجميل أن الدولـة، التـي تحكم بشـرع الله في هذه البلاد مازالـت وستبقى (إن شاء الله) تلزم النساء والفتيـات بلبس الحجاب، ووضعت قواعد ونظم محددة للباس مدارس البنـات في المراحـل التعليميـة الأولى (الابتدائـي، والمتوسـط، والثانـوي)[٥].

ج- شـاهدنا بعض الجازانيـين في الأسـواق الأسـبوعية الشـعبية وفي بعض النواحـي مـن أرياف وبوادي المنطقة مازالـوا يلبسون الألبسة القديمـة مثل: الحوك أو المصنـف على الجـزء السفلي للجسـد، والقميص (السميج أو الشميـز) على الجزء العلـوي[٦]. بالإضافـة إلى عصائـب على الرأس، وهـذه العصائب معمولـة من أشجار الكادي والبعيثران وغيرها[٧].

---

(١) للمزيـد عـن ألبسة منطقة جازان القديمة انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (جازان)، مج، ١١، ص ٢٩٧-٣٠٠، انظر أيضاً: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص٦٥-٧٣.

(٢) يجـب دراسة تلك الألبسة قبل انقراضها، كما يجب أن نسعـى جاهدين إلى حفظ تراث الأوائل من اللباس والزينة وفي جميع الجوانب الحضارية الأخرى .

(٣) اللباس الوطني سمة سائدة عند جميع السعوديين ويجب الحفاظ عليه والعمل على تبجيله واحترامه .

(٤) لباس النساء الحديث في جميع أنحاء المملكة صار متعدداً متنوعاً في الشكل، والحجم، واللون وطريقة اللبس . وكثير مـن عـادات لباس المرأة الحديث وبخاصـة في المنزل أو المناسبات الاجتماعية صار دخيلاً علينا، وكثير من هذه الألبسة يُظهر مفاتن المرأة وجمالها .

(٥) الناظر إلى وضع المرأة في بعض البلدان العربية المسلمة يجد الكثير منهن تركن الحجاب الإسلامي وإن لبسن الحجاب علـى الرأس، فإنهن يتركن الوجه مكشوفاً مـع إضافة بعض المواد الجمالية على الوجـه والشكل الخارجي. وهذا العمل يتعارض مـع الشرع ومـع الحجاب الإسلامي الـذي رسمه لنا ديننـا . ويجب على المـرأة السعوديـة أن تهتم بالحجاب الإسلامـي وتحرص عليه، وهذا مما يحفظها في نفسها ويحفظ دينها . كمـا أن المؤسسات الفكرية والدعوية والتعليمية والثقافيـة وأرباب الأسر وغيرهم يجـب عليهم توعية بناتهم ونسائهم بما يدبر لهن من تغريب وتشجيع على التخلي عن الحجاب وعن الفضائل التي حث عليها ديننا الحنيف.

(٦) ومن الألبسة القديمة : اللحاف، والحطيم، والسديرية، والمقلمة، وهناك ألبسة أخرى مصنوعة من الخصف أو الجلد .

(٧) مشاهـدات الباحـث في أسـواق صبيـا، وجـازان، والريـث والدائـر والعارضـة خـلال الفـترة الممتـدة مـن (٢٨-١٤٣٣/٤/٣٠هـ) .

د - الفاحص لألبسة الناس في الأسواق، والمطاعم والأسواق الشعبية يلحظ انتشار لباس البنطال والقميص حتى إنه يصعب على المشاهد تمييز الشخص الجازاني من غير الجازاني، وبخاصة في جيل الشباب والرجال دون الأربعين[١]. وشاهدنا أيضاً كثيراً من كبار السن في الأسواق وعليهم ألبسة الحوك والقميص، وأحياناً المظلة المصنوعة من الطفي، أو الغترة الملفوفة على الرأس[٢].

هـ - عموم النساء يلبسن عباءة سوداء ويغطين رؤوسهن ووجوهن بالقناع الأسود المعروف بـ (الشيلة) ، وهناك نسوة، ومعظمهن يمنيات، يلبسن عباءة على الجسد وغطاء أسود على الرأس، ويتركن أحياناً وجوههن بدون غطاء . والبعض منهن يشتغلن في الأسواق الأسبوعية أو يعملن في بعض الأعمال المهنية والاقتصادية الأخرى، ومن هؤلاء النساء من يتسولن في الأسواق، وعند أبواب المساجد وفي الطرقات والأماكن العامة[٣].

٥ - عادات، وأعراف، وتقاليد أخرى :

عرف عن الجازانيين الكثير من العادات والأعراف الجيدة، ومنها على سبيل المثال: هدوء الطبع فتجد الرجل منهم سهلاً لطيفاً في تعامله، فلا يحب العنف والتصادم. كما أنهم قنوعون ومتساهلون مع الغير[٤]. ومن صفاتهم الذكاء والاجتهاد في أداء واجباتهم. كما أنهم كرماء يحرصون على إغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، وحفظ الجوار، ومساعدة المحتاج[٥].

---

(١) في المجتمع الجازاني كثير من الأجناس الوافدة إلى البلاد وخاصة اليمنيين وغيرهم . وتقارب الشبه بين اليمنيين والجازانيين يجعل المشاهد في حيرة لتمييز السعودي من اليمني حتى وإن تكلم الواحد منهم فاللهجات أحياناً متقاربة، وعدم التمييز يبقى قائماً . أما الأجناس الأخرى مثل: بعض العناصر العربية أو الهندية أو البنجالية أو الباكستانية، فالتمييز سهل للاختلاف الواضح . في الشكل بين الإنسان الجازاني وغيره من تلك العناصر البشرية. مشاهدات الباحث في كثير من أسواق وقرى ومدن منطقة جازان الممتدة من الموسم والخوبة جنوباً إلى الدرب والريث والحقو وفيفا شمالاً .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ظاهرة التسول من الرجال والنساء، ليست في منطقة جازان فحسب، وإنما في عموم المملكة العربية السعودية. ومعظم المتسولين تجدهم من الجاليات اليمنية . وهذه المشكلة الاجتماعية جديرة بالبحث والدراسة، وعلى الجامعات المحلية مسؤولية كبيرة تجاه مثل هذه القضايا الاجتماعية التي يجب دراسة أسبابها، وآثارها، ونتائجها، ثم توضع الحلول التي يمكن أن تحد منها أو تقضي عليها .

(٤) هذا ما لمسته عند الجازانيين منذ أواخر القرن الهجري الماضي، وأثناء تعاملي مع بعضهم كزملاء وطلاب، ثم تأكد لنا صحة هذا الإحساس أثناء زيارتنا لبلادهم من أجل جمع مادة هذه الدراسة .

(٥) هذه الصفات كانت عالية جداً عند الأوائل في جميع أنحاء جنوبي البلاد السعودية، وبدأ كثير منها يتلاشى أو يختفي ،وذلك مع تسارع نظام الحياة، وانفتاح العالم بعضه على بعض، وتوافر المال والخيرات في أيدي الناس . ومثل هذه العادات جديرة بالبحث المطول حتى نطلع أجيالنا على بعض أعراف وتقاليد السابقين، التي كان كثير منها يحث على التعاون والتراحم والتكافل الاجتماعي .

(*) وهناك بعض الأعراف والعادات الجازانية مثل: الأعياد والزواج، والمآتم، والألعاب والفنون الشعبية وغيرها، ونذكر بعضاً منها في النقاط التالية:

أ- عندما قرأت وسمعت وشاهدت ممارسات المجتمع الجازاني لعادات الزواج، والأعياد والمآتم اتضح لي أنهم كانوا في السابق بسطاء في تكاليف الزواج والأعياد. فالمهور وولائم الزواج كانت سهلة ويسيرة. والأعياد يحتفلون بها كل حسب استطاعته وقدرته المادية[١]. أما المآتم فكانوا يقيمون العزاء أياماً عديدة ويكلفون أهل الميت الكثير من التعب والعناء والخسارات المالية [٢]. واليوم تبدل الحال فصارت عادات الموت والعزاء أسهل من قبل، وانتشر الوعي بين أفراد المجتمع فهم يسعون إلى مؤازرة ومساعدة أهل الميت وعدم تكليفهم بما يشق عليهم[٣]. أما الأعياد فيحتفل الناس بها بشكل طيب ومعقول، مع الحرص على الاجتماع والتآلف والتقارب[٤]. وعادة الزواج اليوم صارت شاقة مكلفة للزوج وأهله وكذلك للزوجة وأهلها وأقارب أسرتي الزوج والزوجة. فهناك المهور عالية، وولائم وهدايا باهظة، وغالباً صارت مناسبات الزواج تقام في قصور وصالات أفراح ذات أسعار غالية. كما يصاحب عادات الزواج أحياناً مبالغة في أجور الفنون الشعبية التي تقدم في ليلة الحفل. وأصبح النساء يبالغن في شراء الأغراض والملبوسات الخاصة بحضور مناسبات الزواج[٥].

ب- من خلال التنقل في بعض أرياف جازان مثل بلاد العارضة، والعبادل، والريث، وغيرها وجدت أن مهور النساء مازالت تعطى من المواشي، ومن لديه المال يدفعه، ومقدار مهر الزوجة البكر يتراوح من خمسين إلى ثلاثمئة رأس من الغنم، وهذا التفاوت الكبير يعود إلى وضع الزوج، فإذا كان من قبيلة والزوجة من قبيلة أخرى فإن

---

(١) حياة الناس قديماً كانت تجعلهم بسطاء مقتصدين في ممارسة بعض عاداتهم مثل الزواج وغيره. والسبب في ذلك قلة ذات اليد، أما اليوم فتوفر الأموال عند الناس جعلتهم يبالغون في مصروفاتهم ومآكلهم ومشاربهم.

(٢) عادة المآتم كانت في السابق شاقة ومكلفة. كما كانت عادة الختان قاسية وعنيفة، واليوم اختفت تلك العادة، وأصبح الطفل يختن في أيامه الأولى في المستشفى. للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٨٥ - ٩٠.

(٣) الوعي الثقافي انتشر بين الناس، وأصبحوا يعرفون الكثير من السلبيات والإيجابيات في حياتهم العامة والخاصة.

(٤) حدثني بعض الجازانيين في المدن والقرى أنهم يقضون أعيادهم في اليوم الأول بالاجتماع والمؤانسة والتآلف. وهذه عادة شاهدتها عند كثير من أهل القرى والأحياء والبلدات في كثير من مناطق المملكة العربية السعودية.

(٥) أصبحت هذه العادات منتشرة عند معظم المجتمع السعودي، مع أن هناك قلة من الأسر والأفراد مازالوا يحرصون على عدم المبالغة في المهور والتكاليف. وظاهرة الغلاء والتكاليف الزائدة في الزواجات ساعدت على انتشار العنوسة بين الرجال والنساء، كما أسهمت في ارتفاع نسبة الطلاق، والتفكك الأسري وغيرها من المشاكل الاجتماعية التي نشاهدها على صفحات الجرائد وفي دوائر المحاكم والحقوق والشرط وغيرها.

المهر يكون أعلى وإذا كان الزوج والزوجة من عشيرة أو قبيلة واحدة فأعداد الغنم التي تدفع مهراً تكون أقل[١]. أما المهور في السهول والساحل ففي الغالب تكون نقوداً .

ج- هناك العديد من الفنون الشعبية التي عرفتها منطقة جازان مثل:

الربش: وهي لعبة الرجال ويستخدم الطبل أثناء أداء بعض المهارات الفردية . والدلع : وهي لعبة رجالية تستعمل الطبلة والزير أثناء أداء بعض المهارات الفردية. وممارسة بعض المهارات الجماعية مع إنشاد الأشعار الحماسية . والسيف، والعزاوي: وهما من الفنون الشعبية الجازانية التي تمارس بشكل فردي. أما العرضة فتمارس جماعياً مع ضرب الطبول . والخمرة، والمصقة من فنون النساء التي تضرب فيها الدفوف . أما البرهة : فهي فن شعبي عرفه أهل جازان قبل خروج الشباب للختان قديماً ،ويليه بعض الرقصات بعد انتهاء مراسم الختان. وقد انقرضت هذه العادة في وقتنا الحاضر[٢].

د- هناك أيضاً ألعاب شعبية أخرى مارسها السكان ومن تلك الألعاب ما يلي:

المشادخة : لعبة رجالية مثل المصارعة بين اثنين والهدف منها إظهار القوة للمتصارعين. الصكعة: لعبة رجالية ونسائية وتستخدم فيها العصي والأعواد . الدسيس: أو الدسيسة: لعبة رجالية ونسائية يمارس فيها فن الاختفاء، من الطرف الثاني . المسحر: لعبة رجالية يستخدم فيها المسحر، وهي عصا في طرفها إعوجاج ويضرب بها الكرة المصنوعة من الحبال والخرق. الساري : لعبة رجالية جماعية وتمارس ليلاً على هيئة فريقين. المحاداة: لعبة رجالية عن طريق القفز على رجل واحدة، وغالباً تكون في أرض مستوية . المهادبة : لعبة للرجال عن طريق الحجارة التي أحجامها قبضة اليد . المتايرة: استخدام الأصداف البحرية وعظام الخراف[٣]. وألعاب أخرى عديدة : مثل السباحة في البحر،

---

(١) أخبرني بعض رجال الريث والعارضة أن هناك بعض الاتفاقيات بين أفراد العشيرة الواحدة، وهذه الاتفاقيات تنص على ضبط مقدار المهور وبعض الأعراف الأخرى . ويمتلك الباحث مئات الوثائق التي تؤكد صحة مثل هذه الاتفاقيات عند بعض العشائر في جنوبي البلاد السعودية . دراسة عادات وأعراف وتقاليد جنوبي المملكة العربية السعودية وما يتوافر عنها من الوثائق غير المنشورة جديرة بالبحث والدراسة. وحبذا أن نرى بعض طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، والعاملين على درجات الماجستير والدكتوراه أن يولوا مثل هذا الموضوع كبير اهتمام في أطروحاتهم العلمية .

(٢) الأستاذ محمد العقيلي ذكر شروحات جيدة عن الفنون الشعبية التي عرفتها منطقة جازان. لكن هذا الموضوع مازال يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية عميقة . والمنطقة الجازانية غنية جداً بفنونها الشعبية، ونأمل من جامعة جازان أن تفتح قسماً لعلم الاجتماع حتى يستطيع المتخصصون في هذا القسم دراسة ثقافة ومجتمع وفكر الديار الجازانية.

(٣) دراسة الألعاب الشعبية أو الرياضية القديمة في منطقة جازان جديرة بالبحث والدراسة . وهذا النوع من البحوث مسؤولية المثقفين والمؤرخين، ونأمل من أبناء المنطقة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الحضارية الجيدة .

أو الأودية والغدران في السهول وعند سفوح المرتفعات، والصيد البري والبحري[١].

هـ- معظم الألعاب والفنون الشعبية السابق ذكرها انقرضت أو في طريقها إلى الانقراض، وظهر العديد من الرياضات الحديثة مثل: لعب كرة القدم، والطائرة، والسلة، واليد، وألعاب القوى، أو بعض الألعاب الإليكترونية عن طريق أجهزة الحاسب الآلي، والبلاي ستيشن، والجوال وغيرها[٢]. أيضاً عادة أكل القات والشمة، أو ما يسمى بـ (الدقدقة) . تجدها منتشرة بين نسبة غير قليلة من المجتمع الجازاني[٣].

و- من عادات أهل جازان أو من يسكنها قضاء بعض أوقات النزهة والاسترخاء على شواطئ البحر. ومن يذهب إلى ساحل البحر الممتد من الشقيق إلى بيش ومدينة جازان يجد أعداداً كثيرة من السكان والسائحين يقضون ساعات طويلة على الشاطئ، وأفضل الأوقات لممارسة هذه العادة من الساعة الرابعة عصراً إلى نصف الليل، وأحياناً يمتد الوقت ببعضهم إلى الصباح . وهناك من يذهب للاستجمام والنزهة في الجبال مثل: بلاد العارضة، والعبادل، وفيفاء وبني مالك، وهروب، ومنجد، ولجب، والريث وغيرها[٤].

هناك عدد من الأعمال الاقتصادية التي تمارس في المجتمع الجازاني مثل: الصيد والجمع والالتقاط، والرعي، والزراعة، والحرف والصناعات، والتجارة. وسوف نذكر في الصفحات التالية ما سمعنا أو شاهدنا في هذه المجالات.

---

(١) الصيد من المهن التي عرفها الجازانيون، وسوف نناقش هذا العنصر في صفحات قادمة من هذه الدراسة.

(٢) في العصر الحديث ظهر الكثير من المتغيرات الدخيلة على مجتمعاتنا، وكثير من هذه التحولات أثرت في قيم وأعراف وتقاليد الناس، بل أصبح القديم في كثير من العادات والتقاليد القديمة منبوذاً . وهذا مما يساعد على إبعادنا عن ماضينا وهويتنا الاجتماعية والحضارية التي عاشها أسلافنا . وأصبحنا نشاهد ذلك واضحاً للعيان في حياة أبنائنا وبناتنا، وسوف تزداد مع قادم الأيام. ويجب على المعلمين والمربين والمفكرين وأصحاب القرار أن ينتبهوا إلى مثل هذا الغزو الجارف الهدام، فيجتهدوا في وضع الحلول المناسبة للحفاظ على قيم المجتمع وهويته .

(٣) هاتان العادتان أكل القات والشمة، موجودتان عند الجازانيين ومن جاورهم من اليمنيين منذ أزمنة بعيدة . وهي مواد غير مفيدة، ولها أضرار صحية، ناهيك عن آثارها الاقتصادية وبخاصة القات فالذي يمارس أكله باستمرار تجده يعيش في ظروف اقتصادية سيئة وأحياناً كثيرة يكون مفلساً، لأن جميع أمواله تصرف في شراء القات . والحزمة الصغيرة منه اليوم، أي قبضة اليد يتراوح سعرها من (٦٠ - ١٠٠) ريال، وذلك حسب النوعية والجودة .

(٤) يوجد بهذه المرتفعات مناطق سياحية جميلة، وإذا سقطت عليها الأمطار تراها مكسوة بالغطاء النباتي الجميل، كما ترى المياه تجري في منحدراتها وأوديتها، بالإضافة إلى تغريد الطيور .

رابعاً : حياة الناس الاقتصادية :

١- الصيد والجمع والالتقاط :

نتج عن تنوع تضاريس جازان ممارسة الصيد في البر والبحر[١]. وصيد البر موجود إلى حد ما في السهول والمرتفعات الجبلية [٢]. ومازال هناك من يقوم باصطياد الأرانب، والغزلان، والحجل، والقطا، وأحياناً الحمام . والممارسون لهذه المهنة ليس من باب احتياجهم لما يصطادون، ولكن للترويح والتسلية[٣].

أما الصيد البحري فهو من الأعمال الرئيسية عند الجازانيين . وقد وقفت وسألت عن الشواطئ التي ينشط فيها صيد الأسماك، فكانت على النحو التالي : شواطئ الشقيق، وبيش، ومدينة جازان، والموسم، والمضايا، والسهي، وجزر فرسان . ومن الأسماك التي تصطاد : الشعور، والهامور، والبياض، والديرك (الكنعد)، والحريد، والناجل وهو من أكثر الأسماك المحببة إلى سكان المنطقة . وهناك أنواع أخرى من الأسماك والجمبري[٤]. والمتأمل في قوائم الأطعمة الموجودة في المطاعم والفنادق الجازانية يجد أسماء الكثير من هذه الأسماك[٥]. وقد زرت مرسى قوارب مدينة جازان لصيد الأسماك في (٢٩/ ٤/ ١٤٣٣هـ) فوجدت عشرات القوارب الموجودة على الساحل، وعند الالتقاء مع عدد من العاملين عليها ذكروا لنا أن القوارب في ذلك المرسى تنقسم إلى قسمين . القسم الأول : قوارب خاصة لبعض السعوديين وهم يستخدمونها للنزهة، ويُسمح لأصحابها بالسير في البحر لمدة لا تزيد عن (٢٤) ساعة . والقسم الثاني قوارب للصيد، وهي أيضاً لملاك سعوديين ولكن العاملين عليها من الجنسيات الهندية والبنجالية واليمنية، ويسمح لهم بالسير في البحر لمدة ثلاثة أيام بهدف الصيد[٦]. وانتقلنا من المرسى إلى سوق أسماك قريب من الشاطئ فوجدنا عشرات الأنواع من الأسماك المختلفة في أسمائها، وأنواعها، وأحجامها، وأسعارها . ثم إن القائمين على

---

(١) الصيد البري كان نشطاً في الماضي، وذلك لحاجة الناس إلى الطعام . ومن الأشياء التي كان يتم اصطيادها: الجراد، والطيور بأنواعها، والأرانب والغزلان والوبران وغيرها. هذا ما سمعناه من بعض كبار السن الذين التقينا بهم في صبيا والعارضة وأبو عريش وسامطة وأحد المسارحة.

(٢) المصدر نفسه . والباحث في مجال الحيوانات والطيور البرية يجدها في الأودية، وأحياناً في المزارع، وفي المرتفعات الجبلية مثل: جبال خاشر، وفيفا، والريث، وطلان، وقيس، والقهر، والجبل الأسود وغيرها . المصدر : بعض من التقيت بهم في ديار الريث وفيفا وبني مالك والعارضة .

(٣) في الماضي يصطاد الناس بحثاً عن الطعام، أما اليوم فالخير متوفر في كل مكان، وليس هناك حاجة إلى لحوم الحيوانات أو الطيور المصادة . وهذا مما جعل الصيادين البريين يمارسون هذه المهنة للترفيه فقط .

(٤) دراسة الثروة السمكية في منطقة جازان جديرة بالبحث . ونأمل من الأكاديميين المهتمين بعالم البحر والأسماك في جامعة جازان أن يلتفتوا إلى مثل هذا المجال المهم الذي يستحق العديد من البحوث والدراسات العلمية .

(٥) هذا ما شاهده الباحث عند زيارته لبعض الفنادق والمطاعم في مدينة جازان من (١-٦/ ٥/ ١٤٣٣هـ) .

(٦) مشاهدات الباحث في (٢٩/ ٤/ ١٤٣٣هـ) .

البيع والشراء في ذلك السوق هم الهنود واليمنيون والبنجاليون[١]. كما أخبرني بعض الصيادين اليمنيين أن صيد السمك يكون بطرق متعددة مثل: الشبكة العادية من على الشواطئ، أو عن طريق قوارب الصيد، أو عن طريق الجلب (السنارة)، والسمك الذي يتم اصطياده بالسنارة يكون أفضل وأغلى عند المستهلكين. وعند اصطياد السمك يتم جلبه إلى سوق المزاد، وغالباً يشترى بالجملة من قبل الهنود والبنجاليين الذين لديهم محلات لبيع الأسماك داخل المنطقة وخارجها[٢].

وفي محافظتي صبيا وسامطة من يتحدث عن صيد الصقور[٣]، وذُكر لنا بعض المهرة العاملين في هذه المهنة من أبناء المنطقة، وقد التقينا ببعضهم فذكروا أن هناك نوعين من الصقور التي تُصاد في منطقة جازان بعضها ما هو جبلي محلي وربما كان فيها السهلي وتتراوح أسعارها ما بين (٢٠٠٠ - ٣٥٠٠) ريال للصقر الواحد. والنوع الآخر خارجي يأتي إلى المنطقة من تونس وليبيا وإيران وباكستان، وقدومها غالباً يكون في نهاية كل عام هجري، أي تقريباً في شهري ذي القعدة وذي الحجة. وحجم هذا النوع من الصقور أكبر من الصقور المحلية، وأسعارها تتراوح ما بين (١٥٠٠٠- ١٢٠٠٠٠)، ومن أسمائها: الأشعل، والأكحل، والأبيض. أما زبائنها فغالباً من مدن المملكة الكبيرة مثل: الرياض، وجدة، والدمام. وهناك بعض الزبائن من الكويت والإمارات وقطر[٤].

أما حرفة الجمع والالتقاط فكانت في السابق نشطة عندما كان الناس يجولون في الأرض بحثاً عن الطعام والشراب نتيجة للفاقة وقلة ذات اليد[٥]. أما اليوم فقد انقرضت هذه الحرفة، وصار السكان في وضع اقتصادي جيد، مما جعلهم لا يحتاجون

---

(١) المصدر نفسه. وقد لاحظنا بعض الأسماك التي يصل سعر الواحدة منها إلى (١٠٠ و٢٠٠) ريال. وهناك من كان يبيع أكواماً من السمك الصغير، في حدود كيلين إلى ثلاثة أكيال بعشرة وعشرين ريالاً. وعند سؤال بعض الباعة عن التفاوت في الأسعار ذكروا أن ذلك يعود إلى نوعية وجودة السمك المباع.

(٢) الذاهب إلى أسواق الأسماك في منطقة جازان أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة من الطائف وجنوبي مكة المكرمة إلى جازان ونجران يجد أن معظم العاملين في أسواق السمك من الهنود والبنجاليين، وأحياناً من الباكستانيين واليمنيين. مشاهدات الباحث وجولاته المتعددة في أجزاء عديدة من جنوبي البلاد السعودية خلال الخمس السنوات الماضية.

(٣) من الطرق المستخدمة في صيد الصقور، يوضع للصقر كمين على هيئة شباك، ويوضع في الشباك طائر، وعندما يشاهد الصقر الطائر ينزل عليه لاصطياده، لكن الصيادين يغلقون الشباك على الصقر والطائر معاً.

(٤) ما سمعه الباحث أثناء الرحلة من (٤/٢٨ إلى ١٤٣٣/٥/٦هـ).

(٥) كان الناس في السابق يقومون بالتقاط بعض الثمار والنباتات من الجبال والأودية. كما كانوا يجمعون الحطب الذي يستخدمونه في طهي طعامهم، وتدفئة منازلهم وبخاصة الساكنين في المرتفعات الجبلية.

إلى مثل هذه المهنة. وعند تجوالنا في الأسواق الشعبية الجازانية، وبعض المجمعات التجارية شاهدنا من يقوم ببيع سلع الحطب والفحم، وعند سؤال أولئك الباعة عن مصادر هذه السلع قالوا إنهم يجلبونها من بعض الغابات والجبال البعيدة في أطراف المنطقة . وربما جلب بعضها من المناطق اليمنية القريبة من الحدود السعودية . وهذه الحرفة وإن كانت تعتمد على طريقة الجمع والالتقاط، إلا أنها لم تعد شائعة بشكل كبير كما كانت في الماضي[١].

٢- الرعي :

في السابق كانت مهنة الرعي شائعة عند معظم المجتمع الجازاني . فأهل الجبال كانوا يمارسونها بشكل كبير، بل تكاد تكون من أهم المهن عندهم . أما أهل السهول فكانوا يمارسون مهن الرعي بالإضافة إلى أعمال الزراعة والتجارة[٢]. أما اليوم فقد تحسنت أوضاع الناس الاقتصادية، وانشغل أغلبهم بالأعمال الحكومية وأحياناً التجارية، وصارت مهنة الرعي تمارس على نطاق ضيق في الأرياف والمرتفعات الجبلية[٣]. وفي المدن وحواضرها فهناك من يملك المزارع الكبيرة وأحياناً تربى بعض الأبقار والمواشي والخيول والكلاب والطيور في مثل هذه المزارع[٤].

وفي مناطق الجبال مثل: الريث، وفيفا وبني مالك، والعارضة شاهدنا من يقتني أعداداً كبيرة من الأغنام وبخاصة الماعز، ويصل أعدادها إلى (٤٠٠) و(٦٠٠) وربما هناك من يملك ألف رأس . والقائمون على رعي هذه الأغنام من السكان أنفسهم، ويستعينون ببعض العمال الوافدين مثل: اليمنيين، والصوماليين، والإريتريين،

---

(١) مهنة الجمع والالتقاط عرفها إنسان الجزيرة العربية منذ القدم، واستمرت على مر العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . وفي عصرنا الحالي تلاشت نتيجة لتطور أوضاع الناس الاقتصادية . وكون منطقة جازان على ساحل البحر الأحمر، ولها جزر مثل : جزيرة فرسان، فكان بعض الصيادين والبحارة يجمعون بعض الأصداف البحرية، أو اللآلئ الموجودة في البحر . وعند سؤالنا عن هذه المهنة وجدناها هي الأخرى انقرضت ولم تعد شائعة بين الناس .

(٢) دراسة الحياة الاقتصادية في جازان خلال القرنين الماضيين جديرة بالاهتمام والبحث والدراسة . ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ في جامعاتنا المحلية من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الماجستير أو الدكتوراة .

(٣) هذا ما شاهده الباحث أثناء جولته في بعض المرتفعات الجازانية . كما سمعنا من قال بذلك من أهل بيش وصبيا والحقو وجازان وأبو عريش وسامطة .

(٤) زار الباحث بعض الأصدقاء في مناطق بيش وضمد وصبيا وجازان وأبو عريش، وشاهد بعض المزارع في هذه النواحي، وكان في بعض أجزائها بعض الحيوانات مثل الأبقار والجمال والضأن والماعز، وقد يصل أعداد بعض الماعز والضأن إلى (١٠٠- ٢٠٠) رأس .

والإثيوبيين [١]. ومثل هذه الأعداد الكبيرة يتم رعيها في الجبال والأودية والهضاب، وهناك أنواع أخرى من الأغنام تربى في زرائب أو أحواش، وأعدادها تتراوح من (١٠٠- ٢٠٠) رأس، ومثل هذه الأغنام يتم تربيتها حتى تباع بأسعار عالية في مواسم الأعياد، وبداية شهر رمضان[٢].

ويوجد الماعز بكثرة في الجبال والمرتفعات، وإلى جانبه يوجد بعض الضأن والبقر والجمال والحمير. أما السهول فالخراف توجد بكثرة وأيضاً الماعز وباقي البهائم الأخرى . وفي عيد الأضحى يفضل أهل الجبال أن تكون أعيادهم من الماعز، بعكس أهل السهول والساحل ففي الغالب أضاحيهم تكون من الضأن، وأحياناً من الماعز أو الجمال والأبقار[٣]. وقد توقفت عند العديد من المطاعم الموجودة على قارعة الطرق الرئيسية، وداخل القرى الكبيرة والمدن فوجدت بعضها تحتجز عشرات وأحياناً مئات الماعز وقليلاً من الضأن، وعند سؤال أصحاب تلك المطاعم عن هذه البهائم ذكروا لنا أنه يذبح منها يومياً أعداد معلومة من أجل طبخها وتقديمها للزبائن [٤].

والذاهب إلى الأسواق الأسبوعية أو اليومية في قرى ومدن جازان يلحظ وجود الأغنام والجمال والأبقار . وهذه الثروات الحيوانية ليست محلية فقط، فهناك ما يجلب من الرعاة المحليين، أو يستورد من بعض الدول الخارجية مثل: اليمن، والحبشة، والصومال، وإريتريا وغيرها. وهذه الأنواع من المواشي والبهائم تتفاوت في أحجامها، وجودتها، وأسعارها[٥].

٣- الزراعة :

تمتاز الأراضي الزراعية في جازان بالعديد من المقومات مثل: صلاح التربة، ووفرة المياه، وتنوع التضاريس . والملكية الخاصة هي السمة السائدة على جميع الأراضي

---

(١) كثير من هؤلاء الوافدين غير نظاميين في إقاماتهم، وهم من المجهولين المتسللين . وقد زرنا العديد من المزارع في عموم منطقة جازان فوجدنا كثيراً من هؤلاء المجهولين يعملون في هذه المزارع، بالإضافة إلى تربية الأغنام ورعيها.

(٢) وأسعار مثل هذه الأغنام المربأة عالية جداً فتباع في المواسم من (١٥٠٠- ٢٠٠٠) ريال للرأس الواحد.

(٣) هذا ما سمعناه من بعض الرواة في الأجزاء الجبلية والسهلية من المنطقة ودراسة أوضاع الثروات الحيوانية في جازان موضوعات مهمة وجديرة بالبحث والدراسة .

(٤) السعوديون يسرفون كثيراً في أكل اللحوم . والمتجول في أنحاء البلاد السعودية يجد أن هذه العادة تكاد تكون واسعة الانتشار في المطاعم والمناسبات الاجتماعية المختلفة .

(٥) شاهدنا العديد من الأسواق في الحقو، وصبيا، والدائر، ومدينة جازان، وأبو عريش، والعارضة، وأحد المسارحة، وسامطة، وكانت جميعها تعرض العديد من الأغنام والبهائم الأخرى . والقائمون على بيعها خليط من سكان المنطقة، أو بعض الوافدين مثل: السودانيين، واليمنيين وغيرهم . المصدر : مشاهدات الباحث في أجزاء عديدة من منطقة جازان في الفترة الممتدة من (٢٨/٤- ١٤٣٣/٥/٦هـ) .

في المنطقة . فكل عشيرة أو فخذ أو أسرة تعرف أملاكها الزراعية [١]. والناظر في عموم منطقة جازان يجد أن أرضها الزراعية تتنوع من الجبال إلى السهول والساحل. فالأرض في المرتفعات على هيئة مدرجات، ومن ثم فهي محدودة في مساحاتها. أما أراضي السهول والساحل فالغالب عليها الاتساع والانبساط . وهناك بعض الأراضي عند سفوح المرتفعات أو قريبة من بعض الأودية، وهي متوسطة المساحة[٢]. وأجود الأراضي الزراعية التي تقع على وادي بيش، وضمد. وخلب، ووادي جازان، وذلك عائد إلى جودة التربة[٣].

والمحاصيل الزراعية التي تزرع في منطقة جازان اليوم : الدخن، والبن، والزعر، والذرة البيضاء والحمراء[٤]، والسمسم، والقمح، والشعير، في المرتفعات الجبلية، والأعلاف مثل: قصب الذرة[٥]. ومن الخضروات المزروعة، الطماطم، والبامية، والحبحب، والكوسة، والخيار، والباذنجان[٦]. أما الفواكه، فمنها : المانجو، والجوافة، والتين، والرمان، والباباي (العمبرود) ، والموز[٧]. وهناك مزروعات تنبت على الأمطار، والآبار، ومياه الأودية مثل : الشدح، والويكة، والرجلة، والملوخية، والبصل، والدجر، والقوار، وبعض البقوليات الأخرى [٨]. ومن النباتات العطرية التي تزرع في المزارع الكبيرة والصغيرة، وقريباً من المنازل وأحياناً في أحواشها مثل: الريحان، والفل، والكادي، والنعناع، والشيح، والبعيثران [٩].

---

(١) هذه عادات معروفة عند أهل البلاد منذ القدم، ومازال أهل القرى والأرياف وضواحي المدن يمارسون ملكيتهم لأراضيهم حتى اليوم . لكن مع التنمية والتطور الذي تمر به منطقة جازان منذ ثلاثة عقود بدأت الأراضي الزراعية تتحول إلى أراض سكنية، وبدأ كثير من الناس في المدن والحواضر وما جاورها يبيعون بعض مزارعهم على بعض القادمين من خارج المنطقة . وهناك عشرات المزارع المنتشرة في أنحاء البلاد وأصول ملاكها من خارج الديار الجازانية . مشاهدات الباحث خلال رحلته أثناء جمع مادة هذه الدراسة.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) أهل الجبال يفضلون الذرة الحمراء، أما أهل السهول والساحل فميلهم إلى الذرة البيضاء أكثر. هذا الذي سمعه الباحث من عدد من أهل السهول وأهل الجبال .

(٥) شاهدت قصب الذرة أكواماً في أطراف المزارع، وتجده مرتباً بشكل مخروطي بعد حصاده، وذلك حتى لا تدخله المياه أثناء سقوط الأمطار .

(٦) أبلغنا عدد من الجازانيين عدم زراعة البطاطس في جازان، وربما يعود ذلك إلى عدم صلاحية استنباته هناك .

(٧) بعض هذه الفواكه مثل: التين، والرمان، تنبت في الجبال، وجميعها تنبت في المناطق السهلية . ونلاحظ في جبال ومرتفعات جازان وأحياناً في أوديتها الكثير من الأشجار البرية مثل: السلم، الدوم، الأراك (الرديف) ، العنبر، القتاد، القطف، السدر، البشام، القات، الضهياء، الحمض، السمر، المض، الأثل وغيرها .

(٨) المتجول في أسواق عديدة من المملكة العربية السعودية وخاصة جنوبها يجد بعض المزروعات الجازانية متوافرة فيها بكثرة .

(٩) عند زيارة بعض الأصدقاء أو الطلاب في منازلهم أو مزارعهم شاهدنا هذه النباتات متوفرة بكثرة، والنساء غالباً

وتتم خدمة الأراضي الزراعية عن طريق آلات عديدة مثل الحراثات، والدركتورات، والحصادات وبخاصة في المناطق السهلية والساحلية . أما المناطق الجبلية مثل فيفا وبني مالك، والريث والعارضة فالأبقار هي الوسيلة الرئيسية لحراثة الأراضي[١]. اما ري المزارع، فهو عن طريق الأمطار الموسمية وبخاصة الأراضي الخبتية والمرتفعات الجبلية، وهناك مزارع تعتمد على مياه الأمطار والأودية. وهذا النوع من الأراضي يقوم المزارعون بايجاد عقوم وحواجز للمياه، وتفتح عند الرغبة في ري المزروعات[٢]. وفي ناحية الخوبة وأجزاء من محافظة سامطة شاهدنا المزارعين يعتمدون على مياه الأمطار، وإذا رغبوا في حفر آبار، فإنهم يحفرون آباراً عادية، بعكس أهل صبيا وبيش وما حولهم الذين يحفرون فقط الآبار الارتوازية . وعند سؤالنا بعض سكان الخوبة وسامطة ذكروا لنا أن المياه الجوفية في بلادهم قريبة من سطح الأرض، فعند حفر أمتار قليلة يستطيع الإنسان أن يحصل على الماء، أما في الأجزاء الشمالية مثل : صبيا وبيش والدرب فحفر الآبار الارتوازية وقت زيارتنا للمنطقة يصل إلى (٦٠) و(٧٠) وربما (١٠٠) متر[٣].

شاهدنا في جازان العديد من المشاريع والمؤسسات الحكومية والأهلية التي تقوم على خدمة الزراعة والمياه في المنطقة . ومن تلك المشروعات : سد وادي جازان، ومحطة الأبحاث الزراعية بوادي جازان، ومحطة التجارب الزراعية بمنطقة فيفا، والبنك الزراعي العربي، ومديرية الزراعة والمياه بمنطقة جازان، وشركة جازان للتنمية[٤].

يفضلن رعايتها بالسقاية والاهتمام . والسائر أيضاً في أسواق المنطقة الأسبوعية وأحياناً اليومية يجدها تباع بشكل جيد، ولها زبائن كثيرون . كما يوجد في مناطق الجبال الوزاب، والشار، والدوش، والبياض . المصدر: مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا البحث .

(١) مشاهدات الباحث في العارضة والريث وفيفا، وأجزاء من المناطق السهلية والساحلية .

(٢) شاهدنا العديد من تلك العقوم في بيش وأبوعريش وسامطة ونواحي أخرى من المنطقة . ودراسة العقوم أو السدود الترابية ووسائل الري في منطقة جازان موضوع جيد وهام يستحق الاهتمام والرعاية من الأكاديميين في علوم الزراعة والجغرافيا والتاريخ . ونأمل أن نرى من طلاب جامعة جازان من يدرس هذا الموضوع دراسة علمية أكاديمية .

(٣) أخبرنا بعض السكان في صبيا والحقو وبيش إلى أنهم إلى وقت قريب كانوا يجدون الماء بعد عشرة وعشرين متراً . أما اليوم فأصبح الحصول على الماء بعيداً جداً وقد يصل إلى عشرات الأمتار.

(٤) جازان بلاد زراعية، ويجب أن تضاعف الجهود في هذه المؤسسات وغيرها لاستصلاح هذه المنطقة الغنية بالتربة والثروات الزراعية . وفي أثناء تجوالنا في بلاد الخوبة بمحافظة الحرث توقفنا عند العيون الحارة الموجودة بها، التي تبعد عن مدينة جازان حوالي (٦٩ كم) . فوجدنا حولها بعض الزائرين . كما وجدنا مكانها غير معتنى به . وأخبرنا من كان معنا بوجود العيون الحارة في موضعين بجازان، الأول شرق سد وادي جازان ويبعد عن مدينة جازان حوالي (٥١كم)، والأخر بوادي ضمد . ويقال أنها أيضاً غير مخدومة بالاستراحات والحمامات وغيرها . ويجب على وزارة الزراعة والمياه والبلديات أن تولي مثل هذه المعالم بعض الاهتمام، وإن فعلت ذلك فسوف تعود على المنطقة بفوائد سياحية واقتصادية عديدة .

كما شاهدنا مشروع تنقية المياه بالماطري[١]. وهو مشروع لتنقية المياه بهذه الناحية، وقد افتتح هذا المشروع أمير المنطقة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز آل سعود عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

الأيدي العاملة في الزراعة من أهل البلاد الأصليين في المرتفعات والسهول[٢]. ونشاهد في الأرياف أن كبار السن مازالوا يتولون مزارعهم ببعض الرعاية والاهتمام[٣]. وعند زيارتنا بعض المزارع في الحقو، والدرب، وبيش، وصبيا، ووادي جازان، وأبو عريش، وسامطة وجدنا ملاك الأراضي يشرفون على مزارعهم، أما الأيدي التي تقوم على حرث الأرض وخدمتها فهم من العمالة الخارجية من اليمن، ومن بعض دول إفريقيا مثل: مصر، والسودان، والحبشة، والصومال، وإريتريا . وكثير من هؤلاء العمال من المجهولين والمقيمين في البلاد بطريقة غير نظامية[٤]. وعند سؤال بعض أصحاب المزارع عن السبب في لجوئهم إلى عمالة سائبة قالوا إن هناك عقبات كثيرة في استقدام عمال نظاميين[٥]. وأثناء مقابلة عدد من السكان وأصحاب بعض الأراضي الزراعية سمعناهم يشتكون من بعض المعوقات في مجال العمل الزراعي، ومما قالوا:

١. عزوف الشباب والرجال متوسطي الأعمار عن الزراعة بسبب انخراطهم في الوظائف الحكومية وبعض الأعمال التجارية الأخرى[٦]. أما كبار السن فأصبحوا عاجزين صحياً عن خدمة الأراضي الزراعية .

---

(١) الماطري : قرية في وادي جازان وعدد سكانها اليوم حوالي (٨٠٠) نسمة . وهذه الناحية كانت في الأساس خلال السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) لمستثمر حضرمي يدعى بامهري، وكان ينقل الماء الحلو منها إلى مدينة جازان، والنقل في أول الأمر على ظهور الجمال، ثم أنشئ خط ناقل للماء بالمواسير بحجم (٦) بوصة، ولمسافة تصل إلى (٢٥كم) بين الماطري وجازان، وعند زيارة الملك سعود لجازان عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) تم شراء هذه الأرض من صاحبها وما عليها من آبار وجعلها سقيا لمدينة جازان وما حولها . ويقال: أن الماطري : هي في الأساس مكونة من كلمتين (الماء، الطري) وذلك عندما كان ينادي المنادي لبيع الماء في مدينة جازان خلال النصف الأول من العقد الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم دمجت الكلمة فيما بعد إلى الماطري واطلق على قرية الماطري المعروفة حالياً بهذا الاسم . المصدر: مقابلة الباحث مع بعض سكان قرية الماطري في (٣٠/٤/١٤٣٣هـ) .

(٢) لا يعمل أهل البلاد كثيراً في خدمة مزارعهم، واكتفوا بالمراقبة والإشراف العام، والسبب في ذلك عدم احتياجهم الشديد للزراعة لأن لديهم مصادر مادية أخرى تغنيهم عن هذه المهن . والبعض منهم يمارس الزراعة من باب التسلية والاستمتاع، وليس من باب الضرورة .

(٣) مشاهدة بعض كبار السن الذين يقومون على مزارعهم في أرياف أبو عريش، وسامطة، وأحد المسارحة، والخوبة.

(٤) الأحباش، واليمنيون، والإريتريون من أكثر الأجناس المجهولة في جازان .

(٥) انظر بعض المعوقات الزراعية في سطور تالية من هذا المحور .

(٦) دراسة تاريخ الزراعة في جازان خلال القرنين الماضيين عنوان جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى من طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة الماجستير والدكتوراه .

٢. صعوبة الإجراءات الإدارية أثناء السعي في الحصول على عمالة نظامية، ومن أكبر العقبات وجوب حصول مالك الأرض الزراعية على حجج استحكام وصكوك شرعية حتى يتمكنوا من جلب عمالة خارجية . وامتلاك صكوك شرعية يعتريها العديد من العقبات والنظم الإدارية المعقدة .

٣. قلة الأمطار وجفاف الأودية تسبب في هجران الأراضي الزراعية، وهذا مما ساعد على خرابها وتدهورها[١] .

٤. ضعف الدعم المادي والفني لممارسة الزراعة، وعدم وجود ثلاجات كبيرة لتخزين الإنتاج الزراعي مثل: التين، والمانجو، والجوافة وغيرها، وعدم حماية السوق من الإنتاج الزراعي المستورد . والتكاليف الباهظة لاستصلاح الأراضي، وأحياناً تأخر الإجراءات لدعم الزراعة مثل إعطاء القروض الزراعية، أو تزويد المزارعين ببعض الاحتياجات المهمة للاستمرار في مهنة الزراعة[٢] .

٤- الحرف والصناعات:

عرفت جازان عدداً من الحرف والصناعات القديمة[٣]، بعضها انقرض، والبعض الآخر مازال يمارس بشكل يسير . ومما شاهدنا مزاولته عصر السمسم عن طريق استخدام الجمال[٤] . وصناعة الحلوى المحلية، وصناعة بعض التشكيلات والمشغولات اليدوية، وصناعة بعض الأواني الفخارية مثل: البرام، والميفا، والكاسات الصغيرة والكبيرة، والأكواز وغيرها[٥] . وصناعة بعض المفروشات أو المظلات من الخصف، وصناعة بعض الجلديات مثل: الأحزمة، والحبال وغيرها . وهناك بعض النساء اللاتي يقمن بنسج بعض الألبسة مثل: الأغطية، والملاحف، والطاقيات وغيرها[٦] . وفي بلاد

---

(١) شاهدنا عدداً من الأراضي الزراعية في بيش وصبيا وجازان وأبو عريش وقد هجرها أصحابها، والبعض منها تشتمل على بعض الأبنية والآبار والآلات مثل: الحراثات، ومواتير المياه وبالتالي أصبحت مقفولة ومهجورة .

(٢) جامعة جازان تتحمل بعض المسؤوليات في خدمة مجال الزراعة في المنطقة . وإنشاء كلية للزراعة من أهم الخطوات التي يجب أن تسعى الجامعة إلى تنفيذها وتطويرها .

(٣) دراسة الحياة الحرفية والصناعات التقليدية جديرة بالبحث والدراسة . ومثل هذا الموضوع يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية .

(٤) هذه الصفة موجودة منذ القدم في جازان وتهامة عسير . وقد شاهدنا العسيريين في مدينة محايل وما جاورها استبدلوا الجمال بالآلات الكهربائية . أما الجازانيون فلا زالوا يستخدمون الجمال، وأخبرني بعضهم أن هناك من بدأ في استخدام الكهرباء، مع أنني لم أر من يقوم بذلك . والجمل مازال هو المستخدم الرئيسي في ممارسة هذه الحرفة .

(٥) صناعة الفخاريات مازالت منتشرة في المنطقة الممتدة من الشقيق والدرب إلى جازان وأبو عريش وما حولها.

(٦) شاهدنا بعض النساء في أسواق صبيا وجازان وهن يمارسن صناعة النسيج لبعض الملبوسات .

الريـث شاهدنا صناعـة القطران، ويستخلص من زيت أشجـار السلم والسمر والأثل . وعند استخلاص هذه المادة يخرج نوعان من السائل أثناء حرق الأخشاب . سائل خفيف ويسمى في عرف السكان بـ (الشوب) ويستخدم في طلاء الأغنام، وقد يستخدمه النساء في غسيل شعر الرأس وتنظيفه . وسائل ثقيل، وهو ما يعرف بـ (القطران) ويستخدم في طلاء الجمال عند إصابتها بالجرب، وتطلى به الأبواب والنوافذ الخشبية[١].

والسائـح في مدن وقـرى جـازان يشاهد أعداداً كبـيرة من الحـرف والصناعات الحديثـة، مثل: الورش الخاصة بخدمة السيارات من سمكـرة، وميكانيكا، وإصلاحات أخـرى[٢]، وبناشـر وأماكن لزينة السيارات وخدمتها . كمـا شاهدنا الكثير من الفنيين والمهندسين لبعض الأدوات المنزلية، مثـل: الغسالات، والمكيفات، والتلفزيونات وأجهزة أخـرى عديـدة تستخـدم في مجالات الإعـلام والاتصـالات[٣]. وقد سمعـت عن المدن الصناعيـة في مـدن المنطقة، لكنني لم أزرهـا، وهذه المدن تشتمل علـى جميع الحرف والصناعات الضرورية لخدمة أهل المنطقة ميكانيكياً وفنياً وتقنياً[٤].

وفي جـازان بعض المشاريـع الصناعية البارزة مثل: مصنـع إسمنت الجنوب الذي يقع شرق محافظة أحد المسارحة، ومصانع البلك الخرساني في أكثر من مكان، وبعض ورشـ أو مصانـع الزجاج، والأخشاب، والألمنيوم في جميع مـدن المنطقة، بالإضافة إلى مصانـع تحلية المياه، وهناك ورشـ لصناعة وإصلاح القـوارب والسفن الصغيرة التي تستخـدم للصيـد أو النزهـة في البحـر[٥]. ونلحـظ في جامعة جازان، وبعض المعاهد والكليات الفنية والتقنية بعض التخصصات المهنية والصناعية، وهي تقوم على تخريج طلاب متخصصين في عدد من الحرف والصناعات المتنوعة[٦].

---

(١) مـادة القطـران معروفة منذ القدم . وكانت منتشرة عند عموم سكان الجزيـرة العربية . واليوم انقرضت وصارت تمارس فقط في البوادي والمناطق البعيدة عن الحواضر والمدن الرئيسية .

(٢) السائـر في جميـع أنحاء مدن المملكة العربية السعودية، وعلى طرقهـا العامة يلحظ انتشار الورش الصناعية في كل مكان . وورش إصلاح السيارات تكاد تكون هي الأكثر انتشاراً في عموم البلاد .

(٣) مجالات الإعلام والاتصالات تطورت في العقدين الماضيين، فظهر عشرات الورش المتناثرة في جميع مدن جازان، من أجل صيانة وإصلاح الآلات والأجهزة المتعلقة بالاتصالات والإعلام، مثل: الحاسبات الآلية، والجوالات، وغيرها.

(٤) تعيش المملكة العربية السعودية في وقتنا الحاضر طفرة تنموية اقتصادية صناعية . ونأمل أن نرى في المملكة مصانع كبرى متقدمة تقوم على صناعة السيارات والطائرات والأجهزة التقنية العالية .

(٥) دراسة تاريخ الحرف والصناعات في جازان في الماضي والحاضر، موضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو كتاب علمي. ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين الذين يستطيعون دراسة مثل هذه العناوين المهمة والجيدة .

(٦) تاريخ التعليم في جازان بشكل عام، والتعليم الفني المهني بشكل خاص موضوع جيد وجدير بالدراسة في هيئة رسالة علمية أكاديمة .

الأيدي العاملة في مجالات الحرف والصناعات المختلفة، تكاد تكون من العمالة الوافدة إلى المملكة . وفي جازان أعداد كبيرة من الجنسيات : العربية، والإفريقية والهندية والباكستانية والبنجالية، وجنسيات أخرى محدودة من بعض الدول الغربية، أو بلاد الشرق الأقصى مثل: الإندونيسيين، والصينيين، والكوريين، والفلبينيين وغيرهم[١].

٥- التجارة :

تمتاز منطقة جازان بالعديد من المقومات التجارية مثل: تنوع التضاريس، والكثافة السكانية الكبيرة، وخصوبة التربة، وتعدد الأسواق الأسبوعية والحديثة، وتوسط الموقع بين اليمن من الجنوب وعسير والباحة والحجاز من الشمال، وغنى الثروة الحيوانية والسمكية، ووفرة المال في أيدي كثير من الناس، ووجود الميناء، والمطار، وشبكة طرق برية جيدة[٢].

أما الطرق البرية في عموم المنطقة فتجدها ممتازة مقارنة بالماضي[٣]. وأهمها الطريق الدولي الساحلي الذي يربط بلاد جازان بمناطق المملكة حيث يمتد من أقصى الجنوب على حدود اليمن وعبر مركز الطوال إلى أقصى شمال المنطقة عبر الحدود الإدارية مع عسير ويتراوح طوله من (٢٦٠-٣٠٠) كيلومتر تقريباً[٤]. والناظر في طرق جازان الداخلية يجد المزدوج منها يربط بين المدن والحواضر الرئيسية، مثل: جازان أبو عريش، جازان صبيا، صبيا بيش والدرب والشقيق، جازان أحد المسارحة وسامطة، جازان العارضة، صبيا فيفا والدائر، صبيا الحقو وهروب والريث . وجميع هذه الطرقات

---

(١) هذا ما شاهده الباحث أثناء التنقل في ربوع منطقة جازان . ودراسة هذه الأجناس وأثرها وتأثرها جدير بدراسة اجتماعية ثقافية فكرية. والمسؤولية كبيرة على جامعة جازان فتؤسس أقساماً ومراكز ثقافية واجتماعية تدرس أوضاع هذه العناصر الوافدة إلى البلاد، وتدرس أيضاً ما يدور في المجتمع الجازاني من حراك اجتماعي متسارع الخطى والتغيرات .

(٢) هذا ما لمسه الباحث أثناء تجواله في المنطقة أثناء جمع مادة هذه الدراسة . وموضوع التجارة خلال العقود الأربعة الماضية ، جدير بالبحث والدراسة . ونتطلع إلى أن يدرس من قبل المؤرخين والباحثين في منطقة جازان .

(٣) زرنا منطقة جازان خلال العقود الثلاثة الماضية عدة مرات، وكانت آخر زيارة عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ولم نشهد أي تطور على شبكات الطرق آنذاك، فكانت محدودة وضيقة ورديئة . وفي هذه الزيارة ذهلنا من التطور الهائل الذي جرى على شق الطرق المزدوجة وذات المسار الواحد في كل مدينة وقرية وريف. مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا البحث .

(٤) الطريق الدولي الآنف الذكر يعبر القحمة، والحريضة، ثم الشقيق، والدرب، وبيش، وصبيا، حتى جازان ثم أحد المسارحة وسامطة والطوال . وهناك طريق دولي أقصر تحت الإنشاء الآن، وقد وقفنا على أجزاء منه في رحلتنا الحالية، يسير من القحمة والحريضة بشكل شبه مستقيم حتى يخرج في أطراف مدينة صبيا ثم يواصل السير إلى مدينة جازان وأبو عريش وأحد المسارحة وسامطة حتى بلاد اليمن . مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذه الدراسة.

معبـدة، ومرصوفة أطرفهـا وأجزائها القريبة مـن مداخل كل مدينة ومضـاءة بالأنوار، ويوجـد على جنباتها أماكن للاستراحة، ومحطات للوقـود، وأحياناً مطاعم أو بوفيهات، وبناشر، وبقالات يتوفر بداخلها جميع الضروريات وحتى الكماليات . وفي داخل كل مدينة تجـد شبكة طرق جيـدة تربط بين أحياء وأطراف المدينة، وغالبـاً يكون الشارع الرئيسي مزدوجاً وأحياناً أكثر من شارع [١].

وأثناء تنقلنا في حواضر ومزارع وأرياف منطقة جازان شاهدنا الطرق المعبدة ذات المسـار الواحد تتصل بكل قريـة، وبادية، وريف، بل هناك الكثير مـن الطرق الزراعية التـي تربط بين القرى والنواحي الريفية المتفرقـة في المنطقة . كما شاهدنا شق الطرق وتوسيعهـا وسفلتتها في كل أنحاء البـلاد على قدم وساق . والذي رأى جازان في الماضي ثـم جاءهـا في الوقت الحاضر لا يصدق ما وصلت إليـه من نمو وتطور هائلين في مجال فتح الطرق البرية وسفلتتها [٢].

وطـرق جازان البرية امتدت إلى أعالي المرتفعـات مثل: جبال العارضة، والعبادل، وقيـس، وفيفا وبني مالك، والحشـر، ومنجد، والريث، والقهر وغيرهـا. وقد سرنا إلى بعض هذه النواحـي فوجدنا معظم طرقها معبدة ذات مسار واحـد[٣]. كما سمعنا من بعض أهالي جازان وجود عقبات عديدة تربط سروات عسير وقحطان وشهران بمناطق جـازان، ومـن تلك العقبـات : عقبة ضلع، مربـة، الدرب، بيشـ أو الشقيـق[٤]. وعقبة تبـدأ مـن أشعاف شهران في تمنيـة إلى وادي بيش، وعقبة من سـراة عبيدة إلى فرشة

---

(١) ذلك في مراكز منطقة جازان الرئيسية، أما مدينة جازان فجميع شوارعها الداخلية الكبيرة مزدوجة، وإذا نظرت إلى طريق الكورنيش في المدينة فهو مزدوج وعليه الكثير من المطاعم، والأبراج الفندقية، والشقق المفروشة . ومازال العمل جارياً بشكل جيد لتنمية وتطوير مدينة جازان . وفي اعتقادنا أنها سوف تضاهي مدينة جدة قريباً، ونأمل أن نراها كذلك .

(٢) شهدت المملكة العربية السعودي نمواً هائلاً في مجال الطرق البرية . وما تمر به البلاد في هذا الميدان جدير بالبحث والدراسة والتوثيق العلمي التاريخي .

(٣) هـذه المناطق وصلتها الطرق المسفلتة، ومن ثم نمـت عمرانياً، واجتماعياً وثقافياً . ومن يقرأ في المصادر أو الوثائق السابقـة عـن هذه الأوطـان قديماً يجدها كانت موغلـة في البداوة والتخلـف . وصعوبة المواصـلات كانت من أهم العقبات التي تواجه أهلها، وعند وصول الطرق إليهم بدأت حياة المدنية واضحة في جميع أنماط حياتهم الحضارية.

(٤) هـذه الطريق التي سلكنا أثنـاء قيامنا بهذه الرحلة . وهي الطريق الرئيسي والأسهل الذي يربط بين سروات عسير ومـا جاورهـا وبين منطقة جازان الممتـدة من البرك والقحمة إلى الطوال والموسـم والخوبة . وهناك عقبات أخرى تنـزل مـن جبال عسير إلى بلاد رجـال ألمع، ومن بلاد شعار وعقبة تية إلى محافظة محايـل، والعمل جارياً الآن في بعض الطرق التي تربط بـين محافظة محايل وساحل البحر الأحمر . مشاهـدات الباحث خلال عام (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) .

قحطـان ثـم إلى الريث والحقو وصبيا وجـازان . وفي العقبة الآنفـة الذكر، وبعد فرشة قحطـان بحـوالي (١٠-١٥كـم) يتفرع طريق آخـر يتجه إلى جبل الحشـر وبني مالك وصبيا . وعقبة أخرى من ظهران الجنوب إلى ربوعة آل تليد إلى الفرشة، ثم يتفرع هذا الطريـق إلى جبـال الحشـر وبني مالـك، أو إلى الريـث والحقو وصبيـا . وهناك عقبة تخـرج مـن الربوعة بآل تليـد إلى وادي وعيلة، ثم وادي حمـر إلى وادي دفا وبني مالك ثم صبيا[١].

كمـا عرفت منطقة جازان العديد من الأسواق الأسبوعية المنتشرة في معظم مدنها وقراها وأحياناً بواديها . ومن تلك الأسواق ما يلي: سوق السبت في كل من بيش والشقيق. سـوق الأحـد في هروب وأحد المسارحة . سوق الإثنـين في سامطة وضمد، سوق الثلاثاء في صبيـا والعيدابي والخشل[٢]. سـوق الأربعاء في أبو عريش، ويعرف هذا السوق بسوق الصميـل[٣]، وبني مالـك الدائر، والموشت[٤]. وجميع هذه الأسـواق مازالت تعمل، لكن بصـورة أقـل مما كانت عليه في الماضي، وقد زرت بعضهـا في الدرب وصبيا وأبوعريش وسامطـة، ووجدناها مغطاة بالزنك، وأخرى مكشوفة . وشاهدنا في بعضها من يمارس البيـع والشراء خلال أيام الأسبوع، لكن اليوم الذي يعقـد فيه السوق يكون أكثر نشاطاً وازدحامـاً . ويعرضـ في هذه الأسواق الكثير من السلع المحليـة، والمستوردة من مناطق عديدة في المملكة، أو من بلدان أخرى عربية وإسلامية وأحياناً أجنبية[٥].

---

(١) لم أر هـذه العقبـات ولكن ذكر لنا أن معظمها أصبح مسفلتـاً، ومازال في بعضها أجزاء يسيرة تحت العمل والتنفيذ للرصف والسفلتة .

(٢) الخشل : ناحية تقع جنوب مركز القصبة التابع لمحافظة العارضة .

(٣) سمـي سـوق الصميل : لأن الذين كانوا يشرفون عليه في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) من رجال الحسبة ومراقبـي الأسواق كانوا يحملون في أيديهم العصا المعروفة باسم (الصميل). فأطلق على هذا السوق اسم (سوق الصميـل) نسبـة إلى تلك العصا . هـذا ما سمعه الباحث من بعض أهالي أبو عريش عند زيارتـه لهذا السوق في (٣٠/٤/١٤٣٣هـ) .

(٤) الموشـت : ناحيـة تقع شرق مدينة صبيا جنوب مركز الكدمي التابـع لمحافظة صبيا . الأسواق الأسبوعية في الماضي كانت ذا تأثير كبير في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والفكرية . وهناك مئات الوثائق التي تؤكـد ذلـك . ونأمل إلى أن تدرس الأسواق الأسبوعية في منطقة جازان، وحبذا أن تكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتـوراة في إحـدى أقسام التاريخ بالجامعات السعودية . ومن يتخذ هذا الموضـوع عنواناً لبحثه فسوف يضيف إلى المكتبة العربية مادة علمية جديدة .

(٥) لم يعد السوق الأسبوعي اليوم محصوراً في تجاراته على السلع المحلية، كما كان في السابق، وسهولة المواصلات، ونشـاط الصـادرات والواردات البرية، وتنـوع الأجناس جعل سلع الأسـواق الأسبوعية تتنـوع في أنواعها وأسعارها وأماكـن استيرادهـا . مشاهـدات الباحث لعدد من الأسـواق الأسبوعية في منطقة جـازان وغيرها خلال السنوات العشر الماضية.

وهناك أسواق شعبية أخرى، توجد في وسط وأطراف المدن الرئيسية . وقد شاهدنا الكثير منها في مدينة جازان، وأبو عريش، وسامطة، وأحد المسارحة، والدرب، وصبيا. وهذه الأسواق تعمل على مدار الأسبوع، ومعظم ساعات النهار، وأحياناً ساعات من أول الليل[١]. وفي هذه الأسواق تعرض عدداً من السلع مثل: الخضروات، والفواكه، ومواد غذائية أخرى. والظاهر على هذه الأسواق عدم التنظيم، وعدم النظافة لأرض السوق، وللمعروضات التجارية، والأيدي العاملة في هذه الأسواق[٢].

وهناك الأسواق الحديثة المتفاوتة في الكبر وفي الصغر، وفي نوعية السلع، وفي أصحاب الأسواق، وفي المواقع، والجودة والأسعار. ونأخذ مدينة جازان مثالاً: فالسائر في جنباتها يلحظ التطور التجاري الكبير، ومما شاهدنا فيها من الأسواق الكبيرة والحديثة : سوق الراشد مول، وسوق كادي[٣]. وأسواق أخرى مثل: الغروي، والحناوي، والراية، ومارينا مول، والضياء مول، وسوق الصالح التجاري الترفيهي، وأسواق المزرعة، والسمك، والسوق الداخلي القديم[٤]. وأسواق جديدة تحت الإنشاء مثل: داون تاون، ومحمود سعيد[٥].

كما زرنا بعض الأسواق الحديثة في أبو عريش وصبيا . ولاحظنا أسواقاً عديدة في أبو عريش مثل: ريجن مول، وعائلة مول، والحريبي، وسعيد مول، وتاتوج، والريان. كما رأينا في وسط مدينة صبيا السوق المركزي، وهو في مكان مزدحم، وفي أبنية قديمة وحديثة

---

(١) هذه الأسواق تكاد تكون أسواقاً يومية لأنها تعمل جميع أيام الأسبوع . وربما سميت الأسواق الشعبية لأن كثيراً من المعروضات فيها شعبية محلية، ثم إن نظامها يميل إلى الارتجالية وعدم الترتيب للبضائع المعروضة، أو للأفراد الذين يمارسون التجارات في هذه الأسواق .

(٢) المتجول في أنحاء جنوبي البلاد السعودية، بل في المملكة، يلحظ هذه الأسواق الشعبية موجودة بكثرة وتعمل طوال النهار . وربما حياة الناس واحتياجاتهم لمثل هذه الأسواق بشكل دائم، كان سبباً في وجودها، حتى توفر احتياجات الناس اليومية .

(٣) هذان السوقان أكبر وأحدث أسواق مدينة جازان . ويوجد فيهما جميع السلع التجارية التي يحتاجها الإنسان وبخاصة الألبسة والزينة والأطعمة والأشربة . ويوجد ملاصقاً لسوق الراشد أسواق بندة التي يتوافر بها جميع المواد الغذائية والخضروات والفواكه المتنوعة، وسلع أخرى عديدة .

(٤) جميع هذه الأسواق الأخرى يوجد بها السلع والتجارات، لكنها تأتي في أحجامها وقوتها التجارية في مرتبة ثانية بعد سوقي كادي والراشد مول .

(٥) هذان السوقان في طريقهما للإنشاء والتعمير. ومدينة جازان قادمة على طفرة اقتصادية هائلة . بل إن أصحاب رؤوس الأموال في أنحاء المملكة أصبحوا يقدمون إلى منطقة جازان للاستثمار وتوظيف أموالهم في هذه المنطقة الناهضة.

متداخلة[١]. أيضاً تنقلنا في محافظات سامطة، وأحد المسارحة والدرب،وبيش . وشاهدنا أسواقاً عديدة لكنها أقل في المستوى والحجم والنوعية مما رأيناه في مدينة جازان بشكل خاص، وفي باقي مدن جازان الكبرى بشكل عام[٢].

تنقلنا ما بين المدن، والقرى، والأرياف، والبوادي، ورأينا النشاط التجاري سارياً في كل مكان . فالبقالات والأسواق الصغيرة المحدودة تجدها في أطراف القرى والبوادي. ناهيك عن البلدات والضواحي القريبة من المدن الرئيسية فهي مليئة بالدكاكين الصغيرة، وأحياناً بالسوبر ماركات الكبيرة . كما توجد محطات الوقود الموزعة في أنحاء المنطقة، وإلى جوار كل محطة دكاكين للمواد الغذائية ومعظم أنواع السلع . وهناك الفنادق، والشقق المفروشة على جوانب الطرق الرئيسية التي تربط بين المدن، أو داخل المدن والبلدات نفسها، وتجد متاجر تجارية تشتمل على جميع الضروريات وكثيراً من الكماليات التي يحتاجها الإنسان [٣].

وفي مدينة جازان العديد من وكالات ومعارض السيارات الغربية والشرقية. ومن تلك الوكالات : تويوتا، ومازدا، ونيسان، وهوندا، وهونداي، وجيمس، وشيفروليه، كما يوجد أماكن للترفيه والملاهي . وأخبرني بعض من رافقنا أن التاجر الحكير يقوم الآن بإنشاء مشروع كبير في مدينة جازان يشتمل على بعض الأسواق والملاهي الترفيهية المتنوعة[٤].

وكثير من الأسواق التي شاهدناها في مدينة جازان لتجار من خارج المنطقة، أو يشرف عليها ويتولى أمرها شركات عالمية[٥]. كما يوجد في المنطقة عدد من التجار الكبار، ومنهم

---

(١) أسواق مدينة صبيا غير مرتبة من حيث مواقف السيارات، ووضع المحلات التجارية ومرافقها. وقد أبلغنا بعض سكان صبيا أن هناك تخطيطاً جديداً لبناء أسواق جديدة في صبيا، مثل أسواق مدينة جازان، وفيها أيضاً أسواق شعبية أكثر ترتيباً وتنظيماً .

(٢) في اعتقادنا أن هذه المدن الجازانية مقبلة على طفرة حديثة، وقد نرى في بعضها أسواقاً حديثة وممتازة في عمارتها ونظامها ومعروضاتها .

(٣) ما تمر به منطقة جازان من نهضة حضارية تجارية، وما تعيشه جميع أنحاء المملكة العربية السعودية من نمو وتقدم حضاريين يعجز عنه الوصف . ورصد تاريخ هذه النهضة مهمة الجامعات والمؤسسات الأكاديمية، بل مهمة الباحثين الأكاديميين الوطنيين الذين يريدون لبلادهم الرقي والرفعة . وإذا لم يحفظ تاريخ البلاد الحضاري في وقتنا الحاضر، فقد يضيع مستقبلاً، وتعاني أجيالنا القادمة من فقدان تاريخ آبائهم وأجدادهم . كما نحن نعاني اليوم من معرفة تاريخ الأوائل وخاصة ما كان قبل النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) كما أشرت في أكثر من مكان من هذه الدراسة، من يعرف جازان في الماضي ويراها في الحاضر يدرك الجهود الجبارة المبذولة في تنمية وتطوير المنطقة .

(٥) وفي باقي مدن جازان تجد بعض التجار من خارج المنطقة، وقد يشترك بعضهم مع بعض التجار المحليين. وهناك أيضاً تجار محليون صغار، لكن تجاراتهم محدودة مقارنة بأصحاب المتاجر الكبرى مثل: الراشد مول، وريجن مول، وكادي مول وغيرها .

علـى سبيل المثال : البابقي في مدينة جازان، والمشرقـي، والصعدي، والرفاعي، وآل الأمير في أبو عريش . والعثاثي في صبيا . وعبده حسن الحكمي في أحد المسارحة[١].

والأيـدي العاملـة في التجارة تتنوع، فالتجـار الكبار وملاك الأمـوال من الجنسية السعوديـة . وأصحـاب الأسواق الكبرى يشتركون مع تجار كبـار أمثالهم، وربما البعض مـن هؤلاء التجار من خـارج البلاد . كما أن الأسواق التي لهـا صبغة عالمية مثل: بندة، وريجن مـول، وكادي، والراشد وغيرها تتعامل تجارياً مع شركات عالمية تسهم وتشرف علـى تشغيـل السـوق . والمتجول في هـذه الأسواق يجـد أن الأيدي العاملـة مجلوبة من عشـرات الدول، بل إن عشـرات المتاجر في كل سوق تجدها مستأجـرة من مؤسسات أو شركات مضاربة في مدن وبلدان عديدة في أجزاء من العالم[٢].

أمـا الأيدي العاملة الأخـرى التي تعمل في التجارات الصغـيرة أو المحدودة فمنهم السعوديـون وأولهم الجازانيون الذيـن يعملون في العديد من تجارة المـواد الغذائية، أو المواشـي، والعقـارات، والألبسـة وغيرهـا[٣]. ومنهـم سعوديون جـاءوا إلى جازان من مناطق عديدة في المملكة مثل: الحجاز، أو نجد، أو بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجـران. وهذه الشريحة الأخيرة من مناطق نجـران وعسير والباحة نزلوا إلى المنطقة الجازانيـة، وعملوا في تجارة العقارات مثل: شراء الأراضي السكنية والفلل والعمائر، أو الأراضـي الزراعية . بـل بعضهم امتلك فنادق وشققاً مفروشـة واستراحات أو أراضي زراعية . ومنهم من يتاجر في البهائم والأغنام، وفي بيع الحبوب والفواكه والخضروات، وفي الإسمنـت، وبيع الأسماك . ونستيطع القول أن أهل السراة أكثر العناصر العاملة في مجال التجارات بأنواعها في عموم منطقة جازان[٤].

---

(١) لم نحصـر جميع تجار المنطقة الكبـار . ونأمل أن نرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا، أو من بعض الباحثين الجادين من يدرس تاريخ التجارة في منطقة جازان خلال الخمسين عاماً الماضية . ومن يفعل ذلك فلن يجد صعوبة في جمع المادة . كما أنه سوف يخدم الباحثين والمكتبة العربية بدراسة هذا الموضوع .

(٢) إذا تحدثنـا عـن الأيـدي العامة في هـذه الأسواق الكـبرى فإننا نحتاج إلى مئـات الصفحات لندرس جنسياتهم، ومستوياتهم الدراسية، وطرق جلبهم إلى الأسواق التي يعملون فيها . بل نجد تنوع جنسياتهم .

(٣) هذا ما شاهدناه في الأسواق الأسبوعية والشعبية وبعض الأسواق الحديثة، في طول وعرض المنطقة .

(٤) هـذا مـا تأكد لنا من خلال السـير في منطقة السهول الممتدة من الـدرب والفطيحة والحقـو إلى مدينة جازان وأبو عريشـ . كمـا أن بعضهم ملكوا عقارات كثيرة على الساحل أو قريباً منه . ودراسة الحراك التجاري بين أهل السراة والمناطـق التهامية الممتدة من الليـث إلى سامطة جدير بالبحث والدراسة . وهـذه الصلات والنشاطات الحضارية بين الناحيتين لم تبدأ وتتطور إلا منذ خمسة عقود. ونأمل أن نرى واحداً من طلابنا في قسم التاريخ للدراسات العليا بجامعة الملك خالد، فيتخذ من هذا المجال عنواناً لأطروحته العلمية .

وهنـاك عناصر أخرى عديدة تعمل في التجارات المختلفة، ومنهم : اليمنيون الذين يصـدرون بعض السلـع اليمنية إلى أسـواق جازان، ثم يعـودون إلى بلادهـم للتجارة نفسها. ومنهم مقيمون نظاميون يعلمون في أعمال تجارية عديدة مثل: خدمة السيارات وصيانتهـا، وفي البنـاء والمقـاولات، وفي المـواد الغذائيـة وسلع أخرى مختلفـة . ومنهم مجهولـون متسللون تراهم يعملون في بعض المزارع، ورعـي الأغنام، والبناء والعمران . بـل نجد كثير منهم يعلمون في تجارات عديدة في الأسواق الأسبوعية والشعبية. ومثلهم الصوماليـون والأحباش، والإريتريون غير النظاميين في إقاماتهم، وهم يعملون في مهن عديدة مثل اليمنيين المجهولين[١].

وعمال آخرون نظاميون من بلـدان عديدة في العالم مثل: المصريين، والسودانيين، والبنجاليـين، والهنـود، والباكستانيـين . وهنـاك بعض الإندونيسيـين والنيباليـين، والفلبينيـين وقليل من المغاربة، وبعض الخليجيين . وجميعهم يعملون في أعمال تجارية، وأحيانـاً يمتهنـون بعض المهن والحرف التـي لها علاقة بالأعمـال التجارية، مثل ورش السيـارات، وإصلاح الأجهزة التقنيـة، أو العمل في بعض الأدوات الخشبية أو الحديدية أو البلاستيكية وغيرها[٢].

ونجـد الواردات إلى أسـواق جازان متنوعة جـداً، فمنها: صناعـات صينية، وهي منتشرة بشكل كبـير[٣]، وصناعات هندية وكورية ويابانيـة[٤]. والعديد من الصناعات العربيـة من سوريـا ومصر وبلاد المغـرب[٥]. كمـا أن الصناعات الغربيـة، الأمريكية والأوربية، موجودة في جميع أسواق جازان[٦].

---

(١) دراسـة أوضـاع وآثـار المجهولين اليمنيين وغيرهم مهمة جـداً . ولا يقتصر وجودها على منطقـة جازان، وإنما هم منتشـرون في أنحـاء المملكـة العربية السعوديـة . وإذا تأملت وضع المنطقـة الممتدة من مكـة والطائف إلى نجران وجـازان (تهامـة وسراة) وجدتهم في أنحاء هذه البلاد . ولهم آثار سلبية عديدة . والواجب على جامعات الباحة، والملـك خالد، ونجران، وجـازان، أن تنشئ مراكز بحـوث اجتماعية تقوم بدراسة المشـاكل الاجتماعية القائمة في المنطقة، والمجهولون إحدى تلك المشاكل .

(٢) دراسـة أوضاع العمالة الوافدة نظاميين إلى جازان جديرة بالبحـث التاريخي الاجتماعي والثقافي . ونأمل أن تقوم أقسام علم الاجتماع والتربية والتاريخ بدراسة مثل هذه الموضوعات المهمة والجديرة بالاهتمام .

(٣) الصناعـات الصينيـة أغرقت أسـواق العالم، ووصـل إلى منطقة جازان الكثـير منها مثل: الألبسـة والمنسوجات، والأدوات الخشبيـة والبلاستيكيـة والزجاج . وتـكاد تكون جميع السلع الصينية التي يحتاجهـا الإنسان موجودة في أسواق جازان . مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا البحث .

(٤) من الصادرات اليابانية والكورية والهندية : السيارات، والأجهزة الإليكترونية مثل: الجوالات والحاسبات وغيرها .

(٥) من الصناعات العربية بعض الألبسة، والأدوات الخشبية، والأدوية وغيرها .

(٦) الصناعـات الغربية تأتي بعد الصناعات الصينية مثل: السيارات، وقطـع الغيار لجميع الآلات الميكانيكية، وأدوات

وإذا قصرنا حديثنا على الواردات المحلية والإقليمية، فاليمن من أكثر البلاد التي تصدر سلعها إلى جازان . والناظر في الأسواق الأسبوعية والشعبية يجدها مليئة بسلع يمنية مثل: القهوة، والزبيب، والعسل، والحيوانات، وبعض الحبوب والبذور وغيرها[١]. ومن السودان والصومال والحبشة وإريتريا ترد بعض السلع مثل: المواشي وغيرها[٢]. ومن مدن المملكة الكبرى تصدر إلى جازان الكثير من السلع مثل: الحبوب، والأقمشة ، والتمر، والأدوات الخشبية والبلاستيكية، ومشتقات البترول وغيرها[٣].

ومن جازان تصدر العديد من السلع إلى داخل المملكة وخارجها . ومن أهم تلك الصادرات : المواشي مثل: الأبقار والماعز، والذرة، وبعض الخضروات، والمانجو والتين والطماطم والجوافة[٤].

أما الصادرات والواردات بين مناطق جازان نفسها، أو بين جازان ومناطق عسير ونجران والباحة . فأهل جازان غالباً يصدرون بعض سلعهم الزراعية مثل: الفواكه والخضروات، والبهائم، والأسماك، والربيان، إلى أسواق سروات الباحة وعسير ونجران. كما أن الجازنيين يذهبون باستمرار إلى أسواق أبها وخميس مشيط لشراء الكثير من أغراضهم المختلفة [٥]. وأهل الساحل والسهول يصدرون إلى سكان المرتفعات الجازانية حبوب الذرة والدخن والفواكه والخضروات، وبعض الأدوات الفخارية وغيرها . أما أهل الجبال فيصدرون إلى مناطق السهل والساحل السمن

الكهرباء، والأخشاب وغيرها . ودراسة الصادرات الخارجية من الشرق والغرب إلى المملكة العربية السعودية بشكل عام جديرة بالبحث والدراسة، وهذا موضوع واسع يخرج في عشرات المجلدات .

(١) جازان سوق كبير لكثير من سلع اليمن. وهناك بعض السلع التي تهرب بطريقة غير نظامية إلى منطقة جازان . مثل: القات، وبعض الأسلحة، وأحياناً البهائم . وقضية التهريب بين اليمن وجنوبي السعودية موضوع معقد ويستحق بحوثاً ودراسات علمية أكاديمية، مع الحرص على وضع الحلول المدروسة لمواجهة مثل هذه العقبة . وجامعات الملك خالد، ونجران، وجازان عليها مسؤولية كبرى لإنشاء أقسام ومراكز بحثية اجتماعية تدرس مثل هذه المشكلة الاجتماعية وغيرها .

(٢) الصادرات والواردات الحديثة بين جازان ودول شرق إفريقيا موضوع جيد ويستحق الخدمة البحثية .

(٣) الصادرات والواردات الحديثة بين جازان وأجزاء المملكة العربية السعودية خلال العقود الماضية المتأخرة جديرة بالبحث والدراسة والتحليل .

(٤) معظم صادرات جازان من الثروة الحيوانية، وبعض المزروعات . وفي الوقت الحاضر يشتكي كثير من التجار المصدرين لمثل هذه السلع، ويذكرون تراجع تجاراتهم بشكل كبير لعدم توفر المياه، وعدم التشجيع والدعم المادي الذي يجعلهم قادرين على مواصلة أعمالهم . هذا ما سمعه الباحث من بعض المزارعين وأصحاب الحيوانات في صبيا، وأبو عريش، والعارضة، وفيفا، والريث، وسامطة .

(٥) الصلات التجارية بين جازان وعسير وما جاورها خلال الخمسة أو الستة العقود الماضية موضوع مهم وجيد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير. .

والعسل والروائح العطرية . وغالباً ما يصدرون إلى الأسواق الأسبوعية في السهول المواشي، والإبل، والأبقار[١].

وفي أثناء جولتنا في أسواق جازان استطعنا أن ندون بعض النماذج عن الأسعار. فالأراضي السكنية في المدن الكبيرة مثل: صبيا، وبيش، وجازان، وأبو عريش، وسامطة تتراوح أسعار الأرض ذات المساحات (٦٠٠م٢) إلى (١٠٠٠م٢) من (١٥٠) ألف إلى (٣٠٠ و٤٠٠) ألف ريال، على الشوارع الداخلية في المدينة . أما المساحات نفسها على الشوارع الرئيسية فإنها تصل إلى المليون ريال وقد تزيد إلى عدة ملايين حسب موقع الحي والشارع الذي توجد عليه الأرض[٢]. وفي المدن والقرى والأرياف تكون الأسعار أقل. وانتشر في جازان بيع الأراضي الزراعية، حسب مقاس المعاد، وهو (٦٠م×٦٠م)، وسعره في القرى الداخلية أو الضواحي البعيدة نوعا ما عن المدينة يقدر بـ (١٠ إلى ٥٠ وربما ٦٠) ألف ريال . وسعر العمارة من دور أو دورين داخل المدن تقدر بـ (٦٠٠) ألف إلى المليون وأكثر قليلاً إذا كانت مكونة من طابقين . والاستراحات في المدن وما حولها من (٢٠٠) إلى (٥٠٠) ألف ريال حسب مساحتها ومستوى بنائها.

وعند تنقلنا في أسواق جازان الكبرى مثل: الراشد مول، وبعض أسواق صبيا وأبو عريش، وشاهدنا أسعار الألبسة مثل: الأقمصة أو التنورات أو الفساتين النسائية من عشرة ريالات إلى ألف وألفي ريال، وربما تجاوزت بعض أسعار الفساتين هذا السعر. وألبسة الأطفال في خانة العشرات، وأحياناً ترتفع بعض الألبسة الأصلية والجيدة إلى المئة والمئتي ريال . أما الأحذية للنساء والرجال فتتراوح من العشرة والعشرين ريالاً إلى الثلاثمائة والأربعمائة ريال . وأدوات الزينة للنساء والرجال مثل: العطور، والكحل،

---

(١) التبادل التجاري بين الجازانيين في السهول والجبال موجود منذ القدم، ومازال مستمراً حتى اليوم. وبعد أن فاض الخير في البلاد واتصلت شبكات الطرق بين الجبل والسهل أصبح التعامل التجاري بين الطرفين سهلاً . بل صار أهل الجبال يذهبون إلى مناطق السهل ويعودون إلى منازلهم في وقت وجيز . بل بعضهم وبخاصة الموظفين في الساحل والسهول تجدهم يخرجون من منازلهم صباحاً ويعودون إليها في آخر النهار. والمتجول في المناطق السروية والتهامية من القنفذة والباحة إلى ظهران الجنوب وجازان تجدهم جميعاً ينعمون بسهولة الطرق التي تربط أهل الجبال مع سكان السهول والساحل. وموضوع الصلات الحضارية بين سكان السروات وتهامة خلال القرنين الماضيين جدير بالبحث . ونأمل أن نرى من يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسالة عملية .

(٢) الأرض ذات المساحات من (٦٠٠م٢) إلى (٩٠٠م٢) و(١٠٠٠م٢) على الشوارع الكبيرة والرئيسية في مدن جازان وأبو عريش وصبيا تصل إلى خانة الملايين . وقد زرت مخططات داخل مدينة جازان فوجدت الأرض ذات (٦٠٠م٢) تصل إلى (٣٠٠) و(٤٠٠) ألف . وهناك مخططات اخرى توجد فيها نفس المساحات ولا تتجاوز أسعارها (٢٠٠) ألف ريال . مشاهدات الباحث في (٢-٣/٥/١٤٣٣هـ) .

ومساحيق وكريمات المرأة تكون في نفس أسعار الأحذية. أما الحلي مثل: الذهب والألماس فهي غالية، وتتراوح أسعارها حسب الحجم والكمية والنوع من المئات إلى عشرات الآلاف من الريالات[١].

وفي سوق الراشد مول توقفنا عند بعض المطاعم الموجودة في السوق مثل: السوق اليمني الذي يقدم بعض الأكلات الشعبية والحديثة، فكانت الوجبة من الأرز ولحوم الدجاج والضأن بأسعار تتراوح من (١٥-٣٠) ريالاً . وهناك وجبات محلية مثل: المرسة، والفتة، والحنيذ، والمغش وغيرها وتتراوح أسعار الوجبة الواحدة من (١٠ - ٥٠) ريالاً . والمطاعم الإيطالية طبق المكرونة لشخص واحد من (١٠ - ٢٥) ريالاً . أما المطاعم الصينية، الوجبة الكافية لأربعة أو خمسة أشخاص من الدجاج، أو السمك والأرز الأبيض والسلطات تتراوح من (٤٠ -١٢٠) ريالاً[٢].

وفي المطاعم العادية في مدينة جازان وصبيا وأبو عريش وسامطة وغيرها، الدجاجة مع الأرز بحوالي(٢٦) ريالاً، وعلبة البيبسي أو السفن أب، بريالين . والكيلو من لحم الماعز، أو الضأن المطبوخ مع الأرز بـ (٨٠ -٩٠) ريالاً . ووجبة الفول أو العدس مع الخبز بـ (٣-٤) ريالات . وصحن الإدام لشخص واحد من خمسة إلى عشرة ريالات حسب نوع الإدام . والذبيحة الكاملة من الماعز أو الضأن بمبلغ (٨٠٠ - ١٢٠٠) ريالاً حسب حجم الذبيحة، وطبخها فقط بـ (١٥٠-١٨٠) ريالاً . وأسعار الأطعمة في الفنادق تتضاعف تقريباً ثلاثة أو أربعة أضعاف عن أسعارها في المطاعم العادية. وأسعار الأكلات الشعبية، والخبز، والأشربة من الماء، واللبن، والحليب، والعصاير، والمشروبات الغازية فهي متساوية داخل المدن وفي الأرياف والقرى[٣].

وفي سوق صبيا الشعبي سألت عن بعض الأسعار فإذا الكيلو الواحد من القهوة، أو القشر، أو الهرد، أو الليمون الناشف، أو الزبيب تتراوح من (١٠-١٢٠) ريالاً[٤].

---

(١) أسعار الألبسة وأدوات الزينة متنوعة ومختلفة . بحسب نوع اللباس، وموديله، وجودة قماشه، وحجمه، وموطن صنعه، وما ذكرنا فقط نماذج، مع أن أسعار الألبسة، أو الأسعار بشكل عام تحتاج إلى دراسات مطولة تصل إلى مئات الصفحات .

(٢) مشاهدات الباحث من (١-٥/٥/١٤٣٣هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جميع هذه السلع يمنية، وكان القائمون على المتاجرة فيها من اليمنيين أنفسهم . وسألتهم عن طريقة الدخول بتجاراتهم فقالوا: نحن ندخل من اليمن إلى السعودية كل أسبوع مرة واحدة، ويجب أن نعود إلى اليمن للتأشيرة

وكيس البصل والبطاطس الصغير بـ (١٠) ريالات، والحبق الجبلي الحزمة قبضة اليد (٥) ريالات، وكيلو الدجر عشرة ريالات، وثلاثة كيلو من موز اليمن عشرة ريالات. أما الفواكه المستوردة فالكيلو الواحد من التفاح ثمانية ريالات، والبرتقال أو الموز ستة ريالات. وأسعار كيس الذرة الحمراء والبيضاء (٣٠٠- ٥٠٠) ريال[١]. وحمل السيارة التويوتا من الحطب (٢٠٠ -٥٠٠) ريال. وحبوب الشعير الكيس (٤٥) ريالاً، ونخالة الشعير (٤٠) ريالاً. وكيلو الحلوى الجازانية عشرة ريالات، وأسعار السمك تتراوح من عشرة إلى مئة ومئة وخمسين ريالاً للسمكة الواحدة حسب حجمها. أما الكيلو من السمك فيتراوح من (٢٠-٧٠) ريالاً. وفي سوق السمك بعض الباعة الذين يبيعون أكواماً صغيرة من السمك بأسعار متفاوتة من (١٠ - ٥٠) أو (٦٠) ريالاً. أما الأغنام، فالذبيحة المتوسطة من الماعز في المرتفعات (٨٠٠ - ١٢٠٠) ريالاً، وفي السهول والساحل (٨٠٠ - ١٠٠٠) ريال. ومن الضأن في الجبل (٧٠٠ - ١٠٠٠) ريالاً، وفي السهول والساحل (١٠٠٠ - ٢٠٠٠) ريال[٢]. وفي الأعياد ترتفع أسعار الأغنام إلى الضعف أحياناً. أما الأبقار فأسعارها من (٥٠٠ - ٨٠٠٠) ريال، والجمال من (٨٠٠٠ - ١٥٠٠٠) ريال وربما ارتفعت أسعار الجمل الواحد إلى (٢٠٠٠٠) ريال[٣].

وفي بلاد الريث وما حولها لاحظنا بعض التجار الذين يشترون سيارات ويقسطونها على من يرغب الشراء من المنطقة نفسها، والقسط غالباً يتراوح ما بين (٥٠٠ - ١٠٠٠) و (٢٠٠٠) ريال. والسيارات التي يتاجرون بها من صنع تويوتا (الشاص)، فهذا النوع هو المرغوب عند سكان الجبال لقوته وقدرته على صعود المرتفعات.

أما الأجور، فالشقق ذات الغرفتين في عمارة جيدة في مدينة جازان تصل أجرتها السنوية إلى عشرين ألف ريال، وهناك شقق أكبر ترتفع أجرتها إلى الثلاثين ألف. وإذا كانت مثل هذه الشقق في أحياء شعبية، أو بيوت قديمة فأجورها بين (٨٠٠٠) و (١٢٠٠٠) ريال، والأدوار في العمائر النظيفة والأحياء الجيدة تصل إلى (٣٠) و(٣٥)

مرة ثانية كل سبعة أيام من تاريخ الدخول.

(١) الكيس خمسة أصواع، والصاع عشرة كيلوات. والذرة الحمراء أرخص من الذرة البيضاء. وأهل الجبال يرغبون الذرة الحمراء بعكس أهل السهول والساحل فهم يفضلون الذرة البيضاء.

(٢) أهل الجبال يفضلون الذبائح من الماعز بعكس أهل الساحل والسهل فهم يفضلون الضأن. ولهذا ترى أن الماعز أغلى في الجبل. والضأن أغلى من الماعز في السهول والساحل. مشاهدات الباحث أثناء تجواله في السهول والجبال خلال جمع مادة هذه الدراسة.

(٣) المصدر نفسه.

ألـف ريال . أما الأحياء أو الأبنية القديمة فتتراوح أجورها من (١٢٠٠٠) إلى (٢٠٠٠٠) ألف ريال . وفي القرى والبوادي والنواحي البعيدة عن المدن الرئيسية تكون أسعار الشقق والأدوار قليلة، وغالباً لا تزيد عن العشرة أو (١٢٠٠٠) ألف ريال[١].

ومع تزايد أعداد الطلاب في مدينة جازان ارتفعت أجور الغرف . فالغرفة الواحدة مـع حمام تؤجر في الشهر بـ (١٢٠٠)، وربما وصلت (١٥٠٠) ريال. وهكذا ارتفاع أجور الشقـق القريبـة من الجامعـة والمرغوبة مـن الطـلاب [٢]. والاستراحـات المستخدمة للمناسبـات، الصغـيرة (١٠٠٠) ريال لليلـة الواحدة . والكبيرة التـي تؤجر للزواجات والمناسبـات الأخـرى تـتراوح أجورهـا مـن (٥٠٠٠) إلى (٢٠٠٠٠) حسـب موقعهـا، وسعتهـا، ونظافتها وتنظيمها . والاستراحات داخل المـدن الكبيرة تكون غالباً أغلى من الاستراحات في القرى والأرياف [٣].

وأجور غرف الفنادق أعلى من غرف الشقق المفروشة أو الشقق العادية . وفي مدينة جازان وبعض المدن الأخرى فنادق تتراوح أسعار غرفها لليلة الواحدة من (٢٠٠ - ٧٠٠) ريـال حسـب درجة الفندق، وموقعه، وحداثته . وفي أيـام المواسم تتضاعف . أما أسعار الأجنحـة فهـي عالية، وقد يصل بعضهـا إلى (١٠٠٠) و (١٥٠٠) ريال . وأحياناً يكون هناك خدمات في بعض الفنادق للعرسان مع تقديم الطعام والشراب وكل ما يلزم، ومثل هذا النوع من الغرف أو الأجنحة تكون أجرتها أعلى من الأسعار الآنفة الذكر[٤].

وأجور العمال تتفاوت، فالعامل العادي (١٠٠) ريال لليوم . وهناك عمال مجهولين في أنحاء المنطقة وأجورهم تتراوح من (٢٠) إلى (٧٠) ريالاً[٥]. وأجور الفنيين والتقنيين اليوميـة تصـل إلى (٢٠٠) و(٣٠٠) ريـال . وبعض العمـال في المقـاولات المعمارية، أو الهندسيـة الكهربائية أو الميكانيكية . ومثل هؤلاء يعقـدون اتفاقيات مع صاحب العمل، وتكـون غالباً إجمالية على إنجـاز العمل دون ارتباطها بيـوم أو شهر محدد. وأصحاب

---

(١) هذا ما سمعناه من الذين قابلناهم وسألناهم في صبيا، وبيش، وجازان، وسامطة ،والخوبة، والطوال .

(٢) الأحياء القريبة من المدن الجامعية غالباً تكون أسعار أراضيها عالية وأجور شققها وغرفها مرتفعة .

(٣) انتشـرت الاستراحـات في عموم المملكة العربيـة السعودية . والمدن العامة والخاصة . أمـا الأرياف والقرى فلازالت تفتقر إلى مثل هذه الخدمات . وقد نراها منتشرة في تلك النواحي خلال السنوات القريبة القادمة.

(٤) مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا البحث .

(٥) هـذا النوع من العمال يوجدون بكثرة في المزارع ورعي الأغنـام وهم يعلمون غالباً بالشهر، فرواتب بعضهم (٥٠٠) و (٦٠٠) ريـال، وآخـرون تصل أجورهـم إلى (١٥٠٠) ريال وربما تزيد حسب الأعمال التـي يتم الاتفاق عليها مع صاحب العمل. .

الشركات والمؤسسات العاملة في العمارة والبناء أو المشاريع العمرانية الأخرى يجلبون العمال من الخارج على مسؤولياتهم. ويتفقون معهم على الراتب . ورواتب العمال باختلاف أصنافهم ومستوياتهم في المؤسسات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة غالباً تتراوح بين (٧٠٠- ٣٠٠٠) ريال كل حسب عمله واختصاصه[١].

وهناك معوقات عديدة للتجارة في جازان مثل: (١) ازدحام الأسواق الشعبية في المدن وعدم تنظيمها . (٢) الأسواق الأسبوعية بدأت تتلاشى، وسوف تندثر إذا لم تُصَن ويعتنى بها من قبل البلديات ووزارة التجارة . (٣) تصدير الأغنام من المنطقة إلى خارجها رفع من أسعارها المحلية . (٤) تزايد العمالة المجهولة في الأسواق زاد من الفوضى وعدم سير النشاطات التجارية بسلاسة . (٥) عدم تمكين الشباب السعودي الجيد من الانخراط في الأعمال التجارية المختلفة، وهذا ما جعل الوافدين يسيطرون على معظم التجارات في الأسواق الحديثة والشعبية والأسبوعية [٢].

خامساً : حياة الناس التعليمية والثقافية والفكرية :

١- التربية والتعليم :

بلاد جازان غنية بعلمائها وأدبائها منذ قرون إسلامية قديمة، والباحث عن أرباب الشعر والأدب في هذه الديار التهامية يجدهم بالعشرات، ونجد المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي يذكر الكثير منهم[٣]. وإذا بحثنا في كتب التاريخ والتراجم اليمنية نجد أسماء العديد من علمائها وشيوخها البارزين في بعض العلوم الشرعية والعربية والأدبية والفكرية[٤].

---

(١) هذا ما عرفه الباحث أثناء الالتقاء ببعض العمال في بناء العمائر والكباري والطرقات في منطقة جازان أثناء جمع مادة هذه الدراسة .

(٢) دراسة التاريخ التجاري في جازان منذ بداية النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع مهم ويستحق إلى أن يفرد له كتاب أو رسالة عملية أكاديمية .

(٣) ومن أولئك الشعراء والأدباء في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة: علي بن محمد التهامي، وعمارة اليمني، والقاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، والأمير الشاعر القاسم بن علي الذروي، والجراح ابن شاجر الذروي. ومنذ القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن كثيرون مثل: علي محمد السنوسي، ومحمد بن علي السنوسي، ومحمد أحمد العقيلي، وعلي بن حسين الفيفي، وعلي بن قاسم الفيفي، وعلي بن أحمد النعمي، وحسن أبو علة، وحجاب الحازمي، وأحمد البهكلي، وإبراهيم مفتاح، وعلي صيقل . وأعداد كثيرة مايزالون معاصرين، وللكثير منهم دواوين منشورة . للمزيد عن أسماء هؤلاء الشعراء، انظر: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، لمحمد أحمد العقيلي، ثلاثة مجلدات . ولمحات عن الشعر والشعراء، لحجاب بن يحيى الحازمي. وانظر الكثير من الدواوين الشعرية لعدد من شعراء المنطقة الحديثين، ومعظمها توجد في مكتبة نادي جازان الأدبي . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيقوم بحصر ودراسة شعر وشعراء المنطقة الجازانية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر.

(٤) هناك الكثير من العلماء الجازانيين، الذين لهم ذكر في بعض كتب التراث الإسلامي منذ القرون الإسلامية الوسيطة حتى اليوم . بل هناك العديد من الوثائق غير المنشورة التي تشير إلى بعضهم خلال القرنين الماضيين

أمـا التعليم النظامـي في المنطقة فكانت بداياته منذ أوائل النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) . والناظـر في وثائـق التعليـم خـلال العقـود الأربعة الأخيرة مـن القرن (١٤هـ/ ٢٠م) يجد التطور التعليمي شمل معظم سهول وساحل وجبال جازان[١]. أما إذا تتبعنـا حركة التعليم في العقود الثلاثة الأولى مـن القرن (١٥هـ/ ٢٠- ٢١م)، فإننا سوف نفاجأ بالتطور الهائل الذي جرى على هذا القطاع المهم والحساس [٢].

(*) ومـن خـلال تجوالنـا في نواحي جـازان، ومقابلتنا بعض مسـؤولي التعليم العام والعالي، استطعنا أن نخرج بالعديد من الحقائق والاستنتاجات التي نورد بعضها على النحو التالي :

أ- يوجـد في منطقة جازان إدارتـان رئيسيتان للتربية والتعليـم، الأولى : في مدينة جـازان، وهي الرئيسية. والثانية : في مدينة صبيا. وقد سألنا بعض المسؤولين في تلـك الإدارتين أسئلة محددة تعكس النمو التعليمي الذي تعيشه المنطقة، فوجدنا أن عـدد الطلاب والطالبات التابعـين لإدارة تعليم جازان يقدرون بـ (١٤٦٧٩٩) طالبـاً وطالبـة في مراحل التعليم الثـلاث (الإبتدائية، والمتوسطـة، والثانوية)، وعـدد الطـلاب في رياض الأطفـال (٣٤٢٨) طفـلاً وطفلـة، وعـدد الدارسين والدارسات بتعليـم الكبار (٢٦٩١) دارساً ودارسة. أمـا عدد المعلمين والمعلمات فهـو (١٦٥٩٠) معلماً ومعلمة، وعدد الإداريين (٢٧٧٧) موظفاً . وعدد المدارس (١٠٢٨) مدرسة للبنين والبنات، بها (٧٥٥٢) فصلاً دراسياً[٣].

(١٤.١٣هـ/١٩.٢٠م) . وموضوع تاريخ العلم والعلماء في منطقة جازان منذ القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري جدير بالدراسـة، ويستحـق إلى أن يكون عنواناً لكتـاب أو رسالة علميـة أكاديمية . أما النشـاط العلمي والدعوي والثقافي والفكري منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠.٢١م) حتى وقتنا الحاضر فهو أيضاً موضوع واسع وكبير وجدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(١) تاريـخ التعليـم في منطقة جازان منذ عـام (١٣٥٥- ١٤٠٠هـ/١٩٣٥- ١٩٨٠م) . موضوع مهـم وجدير بالدراسة ويستحـق إلى أن يكـون عنوانـاً لرسالة دكتوراة، أو يخـرج في كتاب علمي أكاديمي موثق . ونأمـل أن نرى أحد أبناء جـازان الباحثـين الجادين فيتولى هذا الموضوع بالرعاية والخدمة البحثيـة الجيدة، ومن يفعل ذلك فسوف يحفظ كثـير مـن تراث هذه المنطقة، بـل سوف يضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية مـادة علمية قيمة ومفيدة . وفي تلك الفـترة أيضاً ظهرت بعض الجهود التعليمية الفردية ممثلة في مدارس الشيخ عبـد الله القرعاوي . وهذا الموضوع وإن خرج عنه بعض الكتب والدراسات، إلا أنه مازال يحتاج إلى بحوث أوسع وأعمق، ونأمل أن نرى أيضاً من طلاب العلم من يتولاه بالبحث العلمي الأكاديمي الرصين .

(٢) هـذه الفـترة (١٤٠٠- ١٤٣٣هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٢م) تستحق أن تكون عنواناً لرسالـة ماجستير أو دكتوراة. ونأمل أن نرى من جامعة جازان وبخاصة في أقسام التربية أو التاريخ من يقوم بدراسة هذه الفترة التاريخية المهمة، وبخاصة في مجال التربية والتعليم .

(٣) هـذه المعلومـات وصلتنـا من ابننا الأستاذ غازي علي أحمد سهلي، مساعـد مدير تعليم جازان في يوم الجمعة (٧/ ٥/ ١٤٣٣هـ). وأبلغنـا أن عـدد مدارس البنـين (٥٢٣) مدرسة، وعدد مدارس البنـات (٥٠٥) مدرسة. وهذه

أما إدارة تعليم صبيا فعدد مدارسها (٩٨٠) مدرسة للبنين والبنات (ابتدائي، ومتوسط، وثانوي) ، وعدد مدارس البنين (٥١٠) مدرسة، والبنات (٤٧٠) مدرسة، وعدد رياض الأطفال (٥٠) روضة، وعدد مدارس وبرامج محو الأمية (٢٢٠) مدرسة وبرنامج . وعدد الطلاب والطالبات في جميع المدارس العامة (١١٨٥٢٩) طالباً وطالبة، بها (٦٨٥٢) فصلاً دراسياً . أما عدد المعلمين والمعلمات فهو (١٤٧٠٠) مدرس ومدرسة، منها (٧٢٠٠) معلماً، و (٧٥٠٠) معلمة[١].

ب- إذا تأملنا أبنية المدارس في عموم المنطقة فهي تجمع بين الأبنية الحكومية والمستأجرة، ومعظم المدن الرئيسية وما حولها تكاد تكون مدارسها في مبان حكومية . أما البرامج والأنشطة الصفية واللاصفية، والميزانيات التي تصرف على التعليم، وتأثير التعليم الإيجابي على سكان المنطقة، وغيرها من الحقائق فهي الأخرى تحتاج إلى مئات الصفحات لرسم صورة واضحة عن التطور التعليمي الذي تعيشه منطقة جازان في وقتنا الحاضر[٢].

ج- أما الجامعة فهي حديثة عهد في جازان ، فلم تتجاوز عقداً من عمرها الزمني[٣]. وعند التجوال في الحرم الجامعي[٤]، وفي فروعها الإدارية المتفرقة في مدينة

الإدارة تمتد مسؤوليتها الإدارية من جزيرة فرسان إلى قضاء العارضة، ومن أطراف مدينة جازان الشمالية إلى الحدود السعودية اليمنية : الموسم، والطوال، والخوبة وما جاورها .

(١) مقابلة مع الابن الأستاذ ربيع مهدي عطية، مدير شؤون المعلمين في إدارة تعليم صبيا يوم الخميس (١٤٣٣/٤/٢٩هـ) في منزله بقرية الباحر في صبيا . وهذه الإدارة تمتد مسؤوليتها الإدارية من حدود مدينة جازان الشمالية إلى فيفا وبني مالك والريث جنوباً وشرقاً، وإلى الدرب والشقيق وساحل بيش وصبيا غرباً. وعدد الطلاب البنين (٦٢٤٦٤) في (٣٥٠٦) فصلاً . وعدد الطالبات (٥٦٠٦٥) طالبة في (٣٣٤٦) فصلاً . المصدر نفسه .

(٢) لقد زرت بعض المدارس، واتصلنا ببعض المسؤولين وتحدثنا معهم، وشاهدنا بعض المشاريع العمرانية الخاصة بإدارتي التعليم في صبيا وجازان وبعض المدارس، ومن ثم خرجنا بانطباع عن تطور التربية والتعليم في عموم المنطقة، ونأمل أن يواكب هذا التطور الكمي في الطلاب، والمدرسين والمشاريع تطور نوعي يركز أيضاً على الكيفية والمخرجات الجيدة .

(٣) لقد زودني الأخوان الكريمان أ . د علي الكاملي، وكيل الجامعة للجودة والتطوير، والدكتور حسن حجاب الحازمي، وكيل الجامعة للشؤون الأكاديمية بإحصائيات وتفصيلات مطولة عن سير الجامعة منذ نشأتها حتى اليوم . ونأمل أن نخرج في المستقبل كتاباً مستقلاً عن تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة جازان منذ عام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٥م) حتى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) لازالت أبنية الجامعة متناثرة في مدينة جازان، والعمل جارياً على استكمال المشاريع العمرانية للمدينة الجامعية . مشاهدات الباحث في تاريخ (٥- ١٤٣٣/٥/٦هـ) .

جازان[١]، استطعنا أن نخرج ببعض الحقائق التاريخية لنمو وتطور هذه المؤسسة التعلمية الأكاديمية، ونشير إلى أهمها على النحو التالي:

١. أنشئت جامعة جازان بقرار الأمر الملكي السامي رقم (٦٦١٦/م/ب) الصادر في (١٤٢٦/٥/١٢هـ الموافق ٢٠٠٥/٦/١٩م)، وكانت كليات : الطب، والهندسة، والحاسب الآلي، ونظم المعلومات[٢]، والمجتمع[٣]، النواة الأولى للجامعة. وضمت إلى الجامعة كليات أخرى في المنطقة مثل: كلية المعلمين، وكلية التربية للبنات[٤]. وتزايدت أعداداً الكليات في الجامعة حتى وصلت عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) إلى (٢٦) كلية[٥].

٢. كليات جامعة جازان في النصف الأول من عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) هي : كلية الطب، وطب الأسنان، والصيدلة، والعلوم الطبية التطبيقية، والصحة العامة وطب المناطق الحارة، والتمريض والعلوم الصحية المساعدة، والهندسة، والتصاميم والعمارة، والحاسب الآلي ونظم المعلومات، والعلوم، والشريعة والقانون، وإدارة الأعمال، والآداب والعلوم الإنسانية، والتربية [٦]. والعلوم والآداب في سامطة، والعلوم والآداب في فرسان، والعلوم والآداب بمحافظة العارضة، والعلوم والآداب بمحافظة الدائر، والعلوم والآداب في الدرب[٧].

٣. عند زيارتنا للجامعة في شهر جمادى الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) والتقينا بمعالي مدير الجامعة أ . د . محمد بن علي آل هيازع، ووكلاء الجامعة آنذاك. أ. د . علي الكاملي، وكيل الجامعة للجودة والتطور، والدكتور محمد بن ربيع وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، والدكتور

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) هذه الكليات كانت في السابق قبل عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) تتبع إدارياً جامعة الملك عبد العزيز . المصدر: معاصرة الباحث لتلك الفترة .

(٣) كانت هذه الكلية تتبع إدارياً جامعة الملك خالد في أبها قبل عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) . المصدر: معاصرة الباحث لتلك الفترة .

(٤) أنشئت كلية المعلمين في جازان عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) . وأنشئت كلية التربية للبنات عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) .

(٥) المصدر : تقرير وصلنا من الجامعة حديثاً عام (١٤٣٣.٣٢هـ) وقد أرسل إلينا من وكالة الجامعة للشؤون الأكاديمية .

(٦) جميع الكليات المذكورة توجد في مدينة جازان . وتم افتتاحها ما بين عام (١٤٢٥-١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٤-٢٠١١م) .

(٧) الكليات المفتوحة في المحافظات كانت بين عامي (١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م) . وهناك العديد من كليات البنات في عموم المنطقة تم إعادة هيكلتها خلال السنوات الماضية المتأخرة . المصدر: تقرير وصلنا من وكالتي الجامعة للشؤون الأكاديمية، والجودة والتطوير الأكاديمي في أوائل شهر جمادى الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

حسن بن حجاب الحازمي، وكيل الجامعة للشؤون الأكاديمية[١]. ويتبع تلك الإدارات العليا تسع عمادات مساندة هي: عمادة البحث العلمي، والدراسات العليا، والتطوير الأكاديمي، والسنة التحضيرية، والقبول والتسجيل، والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، وشؤون الطلاب، والمكتبات، وخدمة المجتمع والتعليم المستمر[٢].

٤. يدرس في الجامعة أثناء زيارتنا لها (٤٦٨٧٣) طالباً وطالبة، منهم (٤١٧٥١) طالباً وطالبة منتظمون في الجامعة، وعدد الذكور منهم (١٧٧٧٤) طالباً، و(٢٣٩٧٧) طالبة . وهناك (٥١٢٢) طالباً وطالبة من المجموع الكلي يدرسون في كليات المجتمع، وخدمة المجتمع والتعليم المستمر، والانتساب، والتعليم عن بعد[٣].

٥. إدارة الجامعة وعدد من الكليات والعمادات المساندة يعملون جميعاً في عمائر متجاورة في شمال المدينة، وعند السؤال عن تلك الأبنية ذكروا لنا أنها مستأجرة من بعض التجار المستثمرين[٤].

أما المدينة الجامعية فقد خصصت لها مساحة (٩,٠٠٠,٠٠٠م٢) على ساحل البحر الأحمر شمال مدينة جازان، ووضع حجر أساسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في (١٤٢٧/١٠/١٤هـ الموافق ٢٠٠٦/١١/١٥م)، وحتى الآن اكتملت بعض مشاريعها العمرانية، وهناك مشاريع أخرى في طريقها للانتهاء [٥].

---

(١) أشاروا أن الجامعة لها أربع وكالات، وعند زيارتها في (١٤٣٣/٥/٩هـ) لم نجد إلا الثلاث المذكورة أعلاه . وربما يكون هناك وكالة قادمة، ولا نعرف عنها شيئاً .

(٢) المصدر : ما سمعه الباحث من بعض مسؤولي الجامعة، وما قرأه في التقرير الذي وصله من وكالتي الجامعة للشؤون الأكاديمية، والجودة والتطوير الأكاديمي .

(٣) هذه الإحصائيات وصلتنا عن طريق وكالة الجامعة للشؤون الاكاديمية في (١٤٣٣/٥/٨هـ).

(٤) هناك عمائر أخرى متفرقة في مدينة جازان وبها بعض الإدارات الأكاديمية والكليات العلمية .أما الإدارة الرئيسية للشؤون الإدارية والمالية فهي في نفس العمارة التي يعمل فيها مدير الجامعة ووكلاؤه . مشاهدات الباحث في (١٤٣٣/٥/٨هـ) .

(٥) ذهب الباحث إلى نفس المدينة الجامعية يومي الأربعاء والخميس (١٤٣٣/٥/٦-٥هـ) ، وشاهد عدداً من الكليات على وشك الانتهاء، وطلاب السنة التحضيرية أصبحوا يدرسون في المدينة نفسها، ومشاريع أخرى كثيرة للكليات، والعمادات، وإدارة الجامعة، والمستشفى الجامعي وغيرها سوف تكون جاهزة في غضون عام أو عامين من وقت زيارتنا .

٦. عنـد تصفح التقرير الـذي وصلنا من وكالات الجامعـة اتضح لنا وجود عدد مـن المراكز والمعاهـد البحثية، ومئات البحوث والنـدوات التي قدمها أعضاء هيئـة التدريس بالجامعـة خلال تاريخها القصير. وهنـاك عشرات المبتعثين إلى خارج المملكة لدراسة درجتي الماجستير والدكتوراة . كما أن عدد المقبولين حتى عام (٣١-١٤٣٢هـ) وصلوا عشرات الآلاف [١]. كذلك تخرج في الجامعة حتى عام (١٤٣٢هـ) آلاف الطلاب [٢].

٧. إذا نظرنـا في أنشطـة الجامعة الأخـرى من ندوات محليـة وإقليمية وعالمية، وإسهامـات الجامعة في خدمة المجتمـع، وكيفية المختـبرات العلمية، والمكتبة المركزية والمكتبات الأخرى في أنحاء المنطقة، والنشاطات الثقافية والرياضية والاجتماعيـة فإننا نجد إنجـازات مباركة وعملٍ دءوب من قبل القائمين على الجامعـة. ونأمـل أن نـرى هذه الجامعـة قريبـاً مكتملة في جميـع مشاريعها العمرانيـة والإدارية والعلمية والأكاديمية . ومما يبشر بالخير أنها في سنوات قليلـة ومحـدودة استطاعت أن تواكب التطـور والتنمية التي تمـر بها المملكة العربية السعودية[٣].

وللجامعـة نشاطات وآثار إيجابية كثيرة، يصعـب أن نذكرها في هذا القسم المحدود بصفحـات محـدودة[٤]. لكن نذكر بعضهـا مثل: استيعـاب أكبر عدد مـن أبناء المنطقة عندمـا فتحت لهم عدد مـن الكليات المختلفـة في أهدافها وتخصصاتهـا، ووفرت عليهم مشقة العناء والسفر إلى مناطق أخرى في أنحاء المملكة [٥]. وللجامعة جهود تذكر فتشكر حيـث عقـدت العديد من الاتفاقيات مع القطاع الخاص في المنطقة أو في المملكة من أجل التنمية والتطوير المحلي في مجالات عديدة . وجلبت العديد من الإخصائيين والاستشاريين

---

(١) في أحد إحصائيات التقرير الذي وصلنا، نجد أن المقبولين في الجامعة عام (٣١-١٤٣٢هـ) كانوا (١٠٦٥٢) طالباً وطالبـة . ونأمـل أن يخـرج من جامعة جازان من يرصـد تاريخ التعليم العام والعـالي في منطقة جازان منذ عام (١٣٥٥-١٤٣٣هـ/١٩٣٥-٢٠١٢م)، وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة .

(٢) هناك إحصائية أخرى تشير إلى أن خريجي الجامعة عام (٣١-١٤٣٢هـ) كانوا (٥٥٥٥) طالباً وطالبة.

(٣) منطقة جازان تسير في اتجاه تنموي حضاري جيد، وذلك بفضل الله عز وجل ثم بفضل الحكومة السعودية المباركة ممثلة في خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود .

(٤) تاريخ الجامعة واسع وكبير ويستحق أن يفرد له دراسة علمية أكاديمية موثقة، وهو موضوع جدير بذلك .

(٥) عاصرنا وشاهدنا المشقة والمعاناة التي كان يعانيها طلاب جازان عندما كانوا يدرسون في فرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود في أبها من عام (١٣٩٦-١٤٢٠هـ / ١٩٧٦-٢٠٠٠م) . مشاهدة الباحث لهذه الحقبة طالباً وأستاذاً في فرع جامعة الملك سعود، ثم جامعة الملك خالد في أبها .

والمتخصصين في علوم ومجالات أكاديمية متعددة . وبعض هذه الكفاءات المجلوبة من السعوديين أنفسهم، وأعداد غير قليلة من خارج البلاد[١]. كما قامت الجامعة في السنوات القريبة الماضية باستضافة العديد من الفعاليات المحلية والإقليمية والدولية مثل: إقامة العديد من الندوات المختلفة لخدمة المجتمع، ومعارض الكتاب، وندوات علمية تخصصية في بعض التخصصات العلمية الأكاديمية[٢].

٢- الثقافة والفكر:

تحتضن جازان عشرات المثقفين والأدباء، والكتاب، والعلماء فهناك الكثير من الشعراء الذين تتراوح أعمارهم بين (١٥-٨٠) عاماً، وهناك الأدباء وأصحاب المؤلفات في الرواية والقصة والدراسات الأدبية والتاريخية والعلوم الإنسانية بشكل عام[٣]. ويوجد هناك عشرات الدعاة، والعاملين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتقديم الدروس العلمية الشرعية والخطب في المساجد . وفي الجامعة أعداد غير قليلة من الجازانيين، وهم المتخصصون في أصعب العلوم العلمية وأدقها، بل تجد بعضهم حصلوا على جوائز وبراءات اختراعات في مجال تخصصاتهم[٤]. وفي كليات العلوم النظرية في الجامعة، ومن الدعاة والمشايخ الشرعيين في المنطقة متخصصون مبدعون مفكرون في مجالات أكاديمية وعلمية متعددة [٥].

ومن خلال استقرائي تاريخ نادي جازان الأدبي، اتضح لي أن هذا النادي منارة مشرقة في جازان عندما كان يقوم على إدارة دفته علماء أصحاب فكر وأدب وثقافة

---

(١) لقد استقطبت جامعة جازان عدداً غير قليل من الأكاديميين في المملكة، وجامعة الملك خالد من أكثر الجامعات التي فرطت في أعضائها، فذهب كثير منهم إلى جامعة جازان . وبعضهم الآن يشغل مناصب قيادية في الجامعة .

(٢) دراسة تاريخ الجامعة خلال السنوات الماضية جدير بالدراسة والتوثيق . ونأمل أن تقوم الجامعة نفسها بإنشاء مراكز علمية بحثية تهتم بمثل هذا الجانب المعرفي وما شابهه .

(٣) عرفت ذلك من خلال زيارة مكتبات الجامعة والنادي الأدبي، ومن خلال زيارة بعض الأدباء، والدعاة، والمثقفين، وأساتذة الجامعة الأكاديميين، في مدينة جازان وبعض المحافظات الأخرى من المنطقة .

(٤) البعض من هؤلاء يعمل في أقسام وكليات جامعة جازان، وآخرون من الجازانيين أيضاً لكنهم يعلمون في جامعات وكليات علمية أخرى في أنحاء المملكة.

(٥) في العشرة الأيام التي قضيتها في منطقة جازان، خرجت فعلاً مشدوهاً بما تمتلكه جازان من رجال متنوعين في علومهم وثقافتهم وأدبهم وفكرهم . نعم إنني أعلم منذ زمن أن جازان أرض فكر وثقافة، لكن لم أكن أدرك هذه الكثرة والتنوع في مجالات ثقافية وعلمية متعددة المجالات والرؤى والأهداف . إنني من على صفحات هذا السفر أنادي الجازانيين أنفسهم للعمل بجد واجتهاد على توثيق ما تزخر به بلادهم من حراك علمي وأدبي وثقافي، والواجب عليهم اطلاع الآخر الذي يعيش خارج منطقتهم على ما تحويه بلادهم ومجتمعهم من غنى عقلي علمي فكري ثقافي . المصدر: مشاهدات الباحث في جازان أثناء جمع مادة هذا البحث .

مثـل: السنوسـي، والعقيلـي، والشريف علـي أبو طالب آل خـيرات، وإبراهيـم مفتاح، وصيقل، والحازمـي، والبهكلي وغيرهم [١]. وهكذا استمر عقـوداً عديدة يؤدي رسالته الثقافيـة والعلمية والأدبيـة . ونأمل من أرباب القلم، ومن المؤلفين المنصفين أن يدرسوا تاريـخ هـذا النادي وما قدم من جهـود تذكر فتشكر، وما هي النتائـج والآثار الإيجابية لهـذه المؤسسة الثقافيـة على المجتمع الجازاني، وبخاصـة في العقدين أو الثلاثة الأولى من عمره[٢].

نأمل من القائمين على نادي جازان اليوم أن يواصلوا طريق الجد والاجتهاد والإبداع الـذي سلكه أسلافهم . كما نرجو أن يستشعروا مـا يجب على النادي من واجبات تجاه رجـال ونساء المنطقة الجازانية الغنية بخيراتها الطبيعية، والغنية بعقول أهلها الفكرية والأدبيـة والثقافيـة، وإن فعلوا ذلك، فالسفينة سوف تواصـل سيرها - بإذن الله تعالى - لتحقيق إنجازات وإبداعات جديدة [٣].

٣- جوانب أخرى :

تنـوع تضاريس منطقة جازان أوجد تعدد اللهجـات الدارجة، وقد شاهدنا اللهجة في فيفـا وبني مالك تختلـف عن المناطق الأخرى في جازان فمثلاً كلمـات : هشت : أي رحت. وهاسِ : ذهـب. قمرة: حجر. الله يقبلس، أو يقبلـج : أي الله يقبلك، وكأنهم يقولون أهلا وسهلاً . الهجن : الشباك [٤]. وفي بعض الأجزاء السهلية يقولون : ميدك: أريدك، أو تعال. حليفي: أي صديقي. تعالى حولي : أي بجانبي . فرعني : ابتعد عني، مدرسة أمصبايا:

---

(١) المجـال محـدود في هذا القسم لذكر كل من تولى أمر النادي وأدى رسالتـه، ونأمل من نادي جازان الأدبي أن يدرس تاريخ هذا النادي منذ نشأته حتى الآن .

(٢) ليـس نـادي جازان فحسب وإنما جميع نوادي المملكة العربية السعوديـة في العقود الأولى من عمرها. وهذه النوادي الأدبيـة يجـب أن تدرس فترات حراكهـا الثقافي والفكري والأدبي منـذ نشأتها إلى منتصـف العشرينيات من هذا القـرن . وتلـك فترة مهمة جـداً للدراسة . ويجب على الأقسـام التاريخية والأدبية واللغويـة والثقافية والاجتماعية والتربويـة في جامعاتنـا السعودية أن توجه رسائـل طلابها للدراسات العليا إلى دراسـة وتحليل تاريخ هذه النوادي في تلـك الفترات . ومن يفعـل ذلك بجدية وإنصاف فإنه سوف يضيف إلى المجتمـع السعودي، وإلى المكتبة العربية والإسلامية مادة علمية مهمة وقيمة .

(٣) مـن يتابع في السنوات الأخـيرة أداء النوادي الأدبية في أنحاء المملكة العربيـة السعودية يجده تراجع عما كان عليه في السابق . ويجب على المسؤولين في وزارة الثقافة، وعلى الأدباء والمثقفين والمبدعين في كل مكان وفي كل منطقة أن يتلمسوا مواطن الضعف والخلل، ثم يعملوا على علاجها حتى تعود هذه المؤسسات الثقافية إلى سابق عهدها، أو إلى أفضل مما كانت عليه، وذلك ليس عسيراً على كل من يسعى إلى رفعة وطنه وخدمة الفكر والعلم والثقافة .

(٤) لهجـات أهـل فيفا تكاد تكون مميزة مختلفة عن عموم لهجات منطقة جازان، وهي صعبة في مفرداتها، وتختلف في معانيهـا عن المفردات في السهول والساحل . وهي جديرة بالدراسات العلمية الأكاديمية من أقسام اللغة العربية في جامعات جازان وغيرها من الجامعات المحلية الجنوبية .

مدرسة البنات. أمحطاط : صغار السن. ضاحي: جائع. زل: أي أدخل، أو تقدم[١].

في السهول من بلدة الظبية ومدينة صبيا تجاه الشمال إلى الدرب والشقيق يستخدمون حرف الألف واللام في أول الكلمة، مثل: الرجال، والسيارة، والسوق، والحديد . ومن مدينة صبيا نحو الجنوب إلى الموسم والخوبة يستبدلون الألف واللام بحرف الألف والميم مثل: الرجال: أم رجال[٢]، والسيارة: أم سيارة، والسوق: أم سوق، والحديد: أم حديد[٣]. وفي عموم المنطقة عبارة : السلام عليكم، تقال في بعض الأوقات، السلام عليكن، للجماعة، والنون تكون ساكنة[٤].

يوجد أيضاً في أنحاء المنطقة الكثير من الأمثال والقصص الشعبية، والأحاجي، والحكم والألغاز . وهذه المعارف توجد بشكل كبير في السهول والساحل، ولا تخلو المرتفعات من هذه الفنون الأدبية المتنوعة والمختلفة عما هو في الساحل والسهول[٥]..

(١) دراسة لهجات منطقة جازان في السهول والساحل تستحق الخدمة والعناية الأكاديمية من أقسام اللغة العربية في الجامعات السعودية .

(٢) أم رجال، تكتب أيضاً : أمرجال . وإذا أراد المتكلم أن يثني على الرجال فيقول : رجال بدون حرف الألف والميم .

(٣) دراسة اللهجات في عموم منطقة جازان موضوع جدير بالاهتمام .

(٤) مشاهدات الباحث في مدينة جازان، وفي مركز وادي جازان وفي العارضة في (١٤٣٣/٥/٣٠هـ) .

(٥) هذه المجالات غنية بالتراث الثقافي والأدبي . وهي من المصادر المهمة لدراسة التاريخ الحضاري الجازاني . ونأمل أن يتجه لدراستها بعض الأكاديميين والمتخصصين في علوم اللغة والأدب . بجامعة جازان . ودراسات مثل هذه الموضوعات يعد من الخدمات الاجتماعية والثقافية التي يستحقها المجتمع الجازاني .

سادساً : نتائج وأقتراحات وتوصيات :

١. بلاد جازان غنية بخيراتها، متنوعة في موروثها وتاريخها وحضارتها . والذي أشرنا إليه في هذه الدراسة أكبر دليل على عمقها التاريخي، واتصال حاضرها بماضيها، وهي ميدان واسع لشتى الدراسات النظرية والعلمية. ونأمل أن نرى جامعة جازان تقوم بمسؤولياتها على خير وجه، فتوجه مراكزها وأقسامها العلمية إلى خدمة أرض وإنسان هذه البلاد التهامية الواعدة.

٢. إعادة النظر في مشكلة القات الذي يمثل عائقاً اقتصادياً للفرد والمجتمع، والقيام بدراسات اجتماعية ونفسية واقتصادية وإدارية مع وضع الحلول الناجعة للتخلص من هذه الآفة وتوفير اقتصاد جيد ونظيف لأهل المنطقة.

٣. الاهتمام بالبنية التحتية على شواطئ البحر، وتوفير كل ما يحتاجه السائح من فنادق وشقق مفروشة . ورفع عدد العَبَّارات التي تسير ما بين مدينة جازان وفرسان، وبخاصة في مهرجان موسم الحريد الذي يقام في فرسان في منتصف كل عام، وهذا مما يساعد في القضاء على الازدحام الذي يقع للمسافرين والسائحين والتجار الذاهبين إلى جزر فرسان .

٤. تكاتف المجتمع والمسؤولين في القضاء أو التقليص لظاهرتي التسلل والتهريب . كما يجب على كل مواطن أن يمتنع عن تأجير المتسللين المجهولين الذين تراهم يعملون في معظم أجزاء المنطقة . ويجب أيضاً على المؤسسات الإدارية المسؤولة عن استقدام العمالة النظامية أن تسهل الإجراءات اللازمة حتى يستطيع المواطن الاستقدام بطرق رسمية ونظامية.

٥. جازان ذات موقع استراتيجي مهم، ويجب توسيع مطارها وميناءها وتوفير جميع الخدمات اللازمة بهما . وهذا مما يساعد على زيادة تقدم المنطقة وتطورها .

٦. نسبة كبيرة من أبناء منطقة جازان ومن ذوي الشأن الاجتماعي والتأثير يعملون خارج المنطقة . ويجب عليهم أن يكونوا على تواصل مستمر بمنطقتهم مع الحرص على تقديم كل ما يصب في مصلحة وتطوير بلادهم وأهلهم وذويهم . كما أن المنطقة نفسها تزخر أيضاً بإعداد غير قليلة من أصحاب

الفكر والثقافة، والمراكز والمحاضن التي تخدم مثل هؤلاء قليلة وأحياناً معدومة. ويجب على الوزارات المعنية بالنشاطات الثقافية والفكرية والتعليمية أن تنشئ وتشجع كل ما يخدم الحياة العلمية والثقافية والفكرية . وعلى جامعة جازان مسؤولية كبيرة في رعاية ودعم المراكز الأدبية والعلمية والثقافية والبحثية في المنطقة، كما يجب أن تتبنى مجالات ومشاريع نوعية تميزها عن غيرها مثل: اعتماد كراسي بحثية متنوعة ومميزة في العديد من التخصصات العلمية والنظرية . ويجب على الجامعة أيضاً إنشاء كلية للزراعة ومراكز بحثية زراعية كون المنطقة تتمتع بمقومات زراعية عديدة.

٧. الاهتمام بالمناطق الأثرية والتراثية في المنطقة مثل: قرية المنارة الأثرية في وادي جازان، والجامع الأثري بقرية الريان، وبعض الحصون والقلاع الموجودة في عدد من المدن والقرى الجازانية، كما يجب إنشاء متحف كبير يحتوي على نماذج من موروثات المنطقة الأثرية، ويجب أن يكون في هذا المتحف بعض النماذج من المخطوطات والوثائق والعملات التي عرفتها منطقة جازان عبر عصور التاريخ .

٨. يجب على الجامعة والمؤسسات الإدارية الأخرى أن توجه بعض اهتماماتها التنموية إلى الأرياف والبوادي، والمناطق الحدودية مع اليمن وتنشئ بها فروع للجامعة ومؤسسات تعليمية وخدماتية . وهذا مما يساعد في نمو وتطور المنطقة ثقافياً وتنموياً . كما يجب على التجار والدولة معاً أن يدعموا ويشجعوا زيادة الأسواق الكبيرة في جميع محافظات المنطقة.

٩. إيجاد بعض المصانع المحلية الضرورية مثل: صوامع الغلال، وثلاجات كبيرة لتبريد الأطعمة والفواكه والخضروات . كما أن المنطقة تحتاج إلى كلية أو قسم أكاديمي لعلوم البيطرة الحيوانية والطيور .

١٠. يجب على فرع وزارة الزراعة والبلديات والمؤسسات المهتمة بالبيئة أن تحرص على حماية غابات المنطقة من الاعتداء البشري . كما يجب عليها أيضاً أن تضاعف من زراعة وحماية الأماكن السياحية مثل: شواطئ البحر، والحدائق، والمتنزهات المختلفة .

١١. كون محافظات وأرياف جازان قادمة على تنمية جيدة، فهي الأخرى بحاجة

إلى مخططات سكنية منظمة وقائمة على أسس هندسية وحضرية جيدة . ويجب على أمانة المنطقة الانتباه لمثل هذا الجانب، والتخطيط له على المدى القصير والطويل.

١٢. وعلى المستوى الاجتماعي نلاحظ تزايد زواج السعوديين في جازان وغيرها من النساء اليمنيات اللاتي يسكن بعضهن في جازان . ويجب الحد من هذه الظاهرة التي قد ينتج عنها مشاكل مستقبلية وبخاصة ممن عندهم أطفال من هذه الزيجات. ثم إن هذه الظاهرة أيضاً أثرت على تزايد العنوسة في المجتمع الجازاني وغيره[١].

١٣. من خلال تجوالنا في عموم المنطقة لاحظنا عدد من المشاريع العمرانية الحكومية المتعثرة، ويجب على أصحاب الاختصاص من الشركات والمؤسسات والمسؤولين أن يتكاتفوا جميعاً على إنجاز مثل هذه المشروعات التنموية . كما يجب عليهم أيضاً أن يراقبوا الله فيما أوكل إليهم من واجب ومسؤوليات .

١٤. السياحة مهمة في منطقة جازان، ومن أهم الأماكن السياحية: وادي لجب، وجبال سلا ، والحشر، وخاشر، والعبادل، وقيس، وفيفا ، والجبل الأسود. وفي مناطق الأودية والعيون، بالإضافة إلى شواطئ البحر . وهي تحتاج إلى طرق آمنة وواسعة وخاصة مناطق الجبال، وبعضها يحتاج إلى(تلفريك) كي يربط المرتفعات بالهضاب والسهول. وتحتاج أيضاً إلى جميع الخدمات مثل: الفنادق، والشقق المفروشة، والحمامات، والملاهي، والأماكن التجارية وغيرها[٢].

---

(١) نسبة العنوسة أصبحت عالية في المملكة العربية السعودية، بسبب غلاء المهور، وعدم حصول الشباب على وظائف، وشروط تُطلب من أسر الفتيات، أو من الفتيات أنفسهن، أو من الشباب، أو الزواج من الأجنبيات، أو مواصلة التعليم للبنات وغيرها من الأسباب التي ساعدت في ارتفاع أعداد العوانس في البلاد . كما أن العنوسة أيضاً انتشرت مؤخراً بين مجتمع الرجال . وهذه الظاهرة جديرة بالبحث والدراسة . ويجب على الجامعات المحلية أن تنشئ أقساماً للاجتماع وخدمة المجتمع حتى تتمكن من دراسة مثل هذه الظواهر وإيجاد الحلول المناسبة لها .

(٢) زرت بعض من هذه الأماكن السياحية، وهي على قدرٍ عالٍ من الجمال الطبيعي، لكنها مازالت تفتقد إلى معظم الخدمات التي يحتاجها السائحون . وإذا خدمت تنموياً فسوف تمثل استقطاباً سياحياً واقتصادياً جيداً . ونأمل أن نراها قريباً في وضع تنموي حضاري راق .